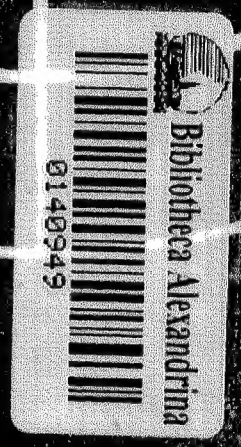


اجاتا كريستي

جرعة في الصحراء



مكتبة الثقافة
بيروت - لبنان

جريمة في الصحراء

أهائاكريتي

عريته في الصبراء

تصنيف
عزيب العزيز أمين

الكتبة الثقافية
بيروت

جريمة في الصحراء

- ١ -

- ولهذا كله يجب أن تقتل !
سمع هير كيول بوارو هذه العبارة وهو يضع يديه على مصراعي النافذة ليغلقها . . وتوقف لحظة ثم هز كتفيه ، وأغلق النافذة ، لأنه نشأ على الاعتقاد بأن هواء الليل خارج البيوت يجب ان يبقى خارجها لأنه ليس هناك ما هو أخطر منه على الصحة أثناء النوم .

- ولهذا كله يجب ان تقتل !

كلمات عجيبة ! وأعجب منها ان تصل أذنيه ، في أول ليلة له بمدينة القدس .

وقال لنفسه وهو ينصرف عن النافذة :

- يبدو انني لابد ان أسمع او أرى شيئاً ، يذكرني بالجريمة والمجرمين أينما ذهبت .

ومرة أخرى هز بوارو رأسه وهو يستعيد في ذاكرته تلك العبارة التي سمعها عند إغلاق النافذة :

- ولهذا كله يجب أن تقتل !
تري أهي عبارة كان يقرأها أحد من رواية بوليسية ، أم عبارة حوار
في مسرحية !
وابتسم وقال لنفسه :
- ربما أحتاج يوماً إلى تذكر هذه الكلمات عندما تتحول إلى حقائق رهيبة !
وتذكر نبرات صوت الماطق بها نبرات شاب تأثر النفس متوتر الأعصاب
وقال بوارو لنفسه وهو يطفئ المصباح ويأوى إلى فراشه :
- من المؤكد اني سأتعرف على صاحب هذا الصوت إذا رأيته وسمعته يتكلم
مرة أخرى .

* * *

وكان صاحب الصوت هو ريموند بونتون .. شاب في نحو الخامسة والعشرين ،
وكان واقفاً إلى نافذة الغرفة المجاورة لغرفة بوارو بفندق الملك سليمان بمدينة
القدس . وكانت تقف يجانبه شقيقته كارول ، وهي شابة في نحو الثالثة
والعشرين من عمرها ، وكاذا يتبادلان الحديث في سكون الليل وقد عاد
ريموند وكرر هذه العبارة :
- ولهذا كله يجب أن تقتل !

وقلمت كارول قليلاً ، ثم تمنت بصوت متهدج :
- هذا مخيف !
وقال ريموند بعنف :
- لا يمكن أن يستمر الحال هكذا .. يجب ان نفعل شيئاً ، وليس أمامنا
شيء آخر يمكن أن نفعله !
- لو كان في مقدورنا أن نهرب ..

- كارول ا. انك تعلمين اننا لا نستطيع
- نعم يا ريموند .. انني أعلم . أعلم هذا .
وأرسل ريموند ضحكة مريرة وقال .
- إن الناس يظنون اننا مجانين لأننا عاجزون عن الهرب من حياتنا هذه .
فقالت كارول ببطء :
- اعلنا مجانين حقاً !
- سوف نكون مجانين فعلاً إذا استمرت حياتنا على هذا النحو مدة أخرى .
ولعل من بوادر جنوننا اننا الآن ندبر جريمة لقتل أمنا .
فهمت كارول قائلة بمحبة :
- لا .. لا .. إنها ليست أمنا ..
- صدقت .. إن زوجة الأب لا يمكن ان تكون أمأ .. مهما تظاهرت
بذلك ..
- أردف قائلاً بصوت ثابت :
- هل توافقين يا كارول ؟
- نعم ، أعتقد ان موتها ضرورة لا بد منها .
ثم انفجرت قائلة بصوت ينم عن ثورتها النفسية :
- إنها مجنونة ، إني واثقة من جنونها . ولو كانت عاقلة لما تلذذت بتعذيبنا
على هذا النحو . لقد عشنا سنوات وسنوات ونحن نقول ان هذا لا يمكن أن
يدوم ، لكنه دائم . وقلنا كثيراً انها سوف تموت يوماً ، لكنها لم تمت ، ولا
أعتقد انها ستموت إلا .
فأكمل لها ريموند العبارة بقوله :
- إلا إذا قتلناها ..
- نعم .
فضم ريموند قبضتي يديه قائلاً :

- لا بد ان يكون قاتلها واحداً منا ، أنت أو أنا . إننا لا نستطيع أن
نعتمد على شقيقنا لينوكس أو زوجته نادين . كما اننا لا نستطيع الاعتماد على
أختنا الصغرى جيني ..

فارتعدت كارول وقالت :

- يا المسكينة جيني ، لشد ما انا خائفة عليها ..

- نعم ، إن حالتها تزداد سوءاً . وهذا ما يدعونا إلى الاسراع في القيام
بعمل حاسم .

والتفتت كارول نحوه وقالت فجأة :

- الذي يدهشني يا ريموند انك تغيرت فجأة في يوم وليلة ! ما الذي جعلك
تصر على الخلاص من هذه الشيطانة الآن ؟

- لا شيء يا كارول .. لكنني لم أعد أحتمل ..

- أم لعلمها تلك الفتاة الحسناء التي التقيت بها في القطار .

- لا .. طبعاً لا ، ما شأن تلك الفتاة بنا ، لنعد إلى موضوعنا

- تعني إلى خطتك ! هل أنت واثق من إحكامها ؟

فقال ريموند بصوت كله ثقة :

- نعم وسأخبرك بتفاصيلها .

ثم اقترب برأسه من رأسها وراح يمس في أذنها

وقفت المس سارة كنج - الطيبية الحديثة التخرج - بجوار مائدة الكتابة في قاعة المكتبة بفندق الملك سليمان بالقدس . وكان جبينها مقطباً ، والفاق يبدو في عينيها وهي تقلب صفحات بعض المجلات .

ودخل رجل فرنسي في منتصف العمر ، طويل القامة ، وراح يراقبها لحظة قبل ان يمضي إلى الجانب المواجه لها عبر المائدة . فلما التقت عيونهما إبتسمت سارة قليلاً وقد تذكرت انه نفس الرجل الذي ساعدها في استدعاء بعض الحمالين عند سفرها من القاهرة .

وقال لها الرجل الفرنسي رداً على إبتسامتها :

- هل أعجبتك مدينة القدس ؟

- إلى حد ما .

ثم إبتسمت وقالت :

- تصور ، إنهم طردوني من أحد الأماكن المقدسة ، لأن ذراعي عاريتين ! يبدو ان الله في رأيهم ، لا يحب الأذرع العارية ، رغم انه خالقها !

فضحك الفرنسي وقال :

كنت سأطلب بعض القهوة ، فهل تسمحين ، وتشربين معي ؟

يا مس

- ساره كنج .

وأخرج من جيبه بطاقة وقال وهو يقدمها :

- وهذا هو اسمي .

ونظرت سارة في البطاقة ، ثم ممست قائلة في ابتهاج ورهبة :

-- الدكتور قيودور جيرار ! لشد ما أنا سعيدة بمعرفتك يا سيدي ، لقد

قرأت كل مؤلفاتك في علم النفس .

وإن آراءك في مرض الانفصام لمثيرة جداً .. انك أشهر طبيب الأمراض

العصبية يا دكتور .

... أحقاً !

- نعم . وإني لأقدرها بحكم عملي . فقد تخرجت حديثاً من كلية

الطب .

-- آه .. فهمت ..

ولكن الدكتور جيرار كان أكثر اهتماماً بحال سارة منه بشهادتها

الطبية . وقد سرته أمارات الرهبة والاعجاب ، المطة من عينيها ، وهي

تنظر اليه .

وسألها قائلاً .

- هل ستمكثين معنا طويلاً ؟

- بضعة أيام ، ثم أمضي الى مدينة بتر .

- أها .. وأنا أيضاً أفكر في هذه الزيارة إذا لم تستغرق وقتاً طويلاً لأنني

مضطّر للعودة إلى باريس قبل الرابع عشر من هذا الشهر .

- إن الرحلة اليها تستغرق أسبوعاً كما أظن .. يومان في الذهاب ويومان في

الإقامة ثم يومان للاياب .

. يجب أن أذهب إلى مكتب الرحلات غداً ، وأرى ماذا ينبغي

أن أفعل .

وفي تلك اللحظة دخلت جماعة إلى ركن القاعة ، فتأملت سارة أفرادها برهة ، ثم قالت بصوت خافت :
— أترى هؤلاء الناس .. فقد غادروا القاهرة معي أمس .

فألقي الدكتور جيرار نظرة عليهم ثم قال :

— أمريكيون ؟

— نعم .. أسرة أمريكية . ولكنها ، أسرة غريبة الأطوار ، كما يبدو لي .

— غريبة الأطوار ؟ لماذا ؟

— أنظر إليهم ، ولا سيما السيدة المعجوز .

وتأمل الدكتور جيرار وجوه أفراد الأسرة بنظرائه الفاحصة ، ولاحظ أولاً الرجل الطويل المريض الذي يبلغ من العمر ثلاثين عاماً ، وكان وجهه وسيماً ، لكن سماته تلمح عن ضعف الشخصية والميل إلى الانطواء . ثم نظر إلى الشاب الأصغر ، وكان جميلاً كآلهة الإغريق ، إلا أنه كان أيضاً « غريب الأطوار متوتر الأعصاب » .

أما الفتاة الأصغر منه ، فكانت أخته ، أشدة الشبه بينها وبين نفسه في السمات وفي التوتر العصبي .

ثم الفتاة الصغرى ، ذات الشعر الذهبي المحيط برأسها كالهالة . كانت أيضاً تعبر عن حالتها العصبية ، بلا وعي ، بتمزيق المنديل الصغير الذي أمسكت به .

أما السيدة الشابة ذات الشعر الفاحم ، والوجه الهاديء ، فكانت تشبه في غموضها لوحة مرسومة بريشة ليونارد دافنشي .

أما السيدة المعجوز التي توسطت الجمع ، فقد جعلت الدكتور جيرار يقول لنفسه في رهبة .

- يا للهول .. إنها أنموذج لزوجة الشيطان ، إن كان للشيطان زوجة .

كانت امرأة عجوز بدينة ، صارمة الملامح ، حادة النظرات أشبه ما تكون بمنكبتوت ضخمة سام قابيع في شبكة نسيجه .

وهز كتفيه وقال لسارة :

- إن الأم دميمة جداً .

- إن في هيئتها ما يثير الرعب ، ألا ترى هذا ؟

- أعتقد هذا !

- وهناك طابع خاص ، في سلوك الذين حولها ، نحوها .. اليس كذلك ؟

- نعم ، من هم أفراد هذه الأسرة ؟ هل تعرفين ؟

- إنهم أسرة بونتون : الأم ، والابن الأكبر ، وزوجته ، ثم ابن أصغر ، واخت . وأخت صغرى . ومن عجب إنهم لا يتحدثون مع احد أو يخلطون بأحد ، ولا يستطيع أحدهم ان يفعل شيئاً إلا بأمر الأم العجوز .

- يبدو أنها من النوع المستبد .

- بل إنها طاغية كما يلوح لي !

وابتسم جيرار لنفسه حين رأى سارة تركز نظراتها على الشاب الجميل بين افراد الأسرة !

ثم فكر :

« يبدو أنها تحبه ! »

وبصوت مسموع قال لها :

- هل تحدثت إليهم ؟

- نعم ، اعني مع واحد منهم !

- الشاب ، الابن الأصغر ؟
-- نعم ، في القطار الذي جاء بنا من القنطرة ، كان في الممر بين مقصورات
الدرجة الأولى ، وقد تحدثت معه ا
... وما رأيك فيه ؟

فترددت سارة برهة قبل ان تجيب قائلة :
- بدا لي أن في الأمر شيئاً غير طبيعي ، فأولاً لاحظت ان وجهه يحمر
بشدة ، ولأبسط سبب .

فابتسم جيران وقال :
- لعل ان يكون له عذراً ا

وضحكت سارة وقالت :
- تعني انه حسبي واحدة من صائدات الرجال ؟ لا .. إن هذا الخاطر
لم يطرأ على فكره ، والرجل عادة يعرف هذا النوع من السيدات ،
اليس كذلك ؟
فلما أوما جيران برأسه ، استطردت هي تقول :

- إن الشيء الذي أثار اهتمامي به انني لاحظت بوضوح انه مضطرب
الأعصاب ، وخائف من شيء ما ، وهذا وحده أمر غريب ا فلن الأمريكيين
يظهرون أمامنا عادة في مظهر الانسان الواثق من نفسه إلى حد كبير وهذا
الشاب ليس حدثاً ، إن سنه لا تقل عن الثالثة والعشرين .

- بل أعتقد انه في الرابعة او الخامسة والعشرين .
- ومع ذلك فإنه يبدو من تصرفاته كأنه غلام . وأعتقد ان لهذه الحالة
علاقة أكيدة بتلك المرأة الرهيبة .

- يبدو انك تكرهينها جداً .
- نعم ، إنني أنفر منها وكأنها أفعى شريرة النظرات .
فابتسم جيران وقال .

— إن الأم أحياناً تبدو شريرة النظرات حين ترى ابنها مفتوناً بفتاة جميلة مثلك !

وقبل ان تقول سارة شيئاً ، إذا بالشاب ريموند ينهض ويعبر القاعة إلى مائدة الكتابة حيث اختار بعض المجلات . حين اقترب من مقعدها أثناء عودته نظرت إليه وقالت له :

— هل كنت مشغولاً اليوم بمشاهدة الأماكن الأثرية ؟
وكانت قد اختارت كلماتها بلا تفكير ، لأنها أرادت فقط ان ترى كيف سيتصرف عند سماعها .

وتوقف ريموند فجأة ، ثم اضطرم وجهه بشدة ثم أجفل كجواد فزع من شيء ، ثم أرسل نظرات خوف الى الأم البدينة .
وقال متلعثماً :

— أوه ! نعم ، طبعاً ، نعم .
وكأنما لكزه أحد من الخلف فجأة ، فإذا هو يندفع عائداً إلى الأسرة ، ممسكاً بالهجلة .

ومدت المرأة الشبيهة بتمثال بوذا ، يداً بدينة وتناولت الهجلة ، ولكن نظراتها كانت مركزة على وجه الشاب وهي تغمغم بكلمات شكر ، ثم تحوات هذه النظرات واستقرت برهة على وجه ساره .

ونظرت سارة في ساعة يدها ثم نهضت قائلة :
— أوه ! لقد مر الوقت بسرعة . شكراً جزيلاً على القهوة يا دكتور جبرار .
يجب ان أسرع لكتابة بعض الرسائل الآن .

فنهض وصافحها قائلاً :
— سوف أراك مرة أخرى . . اليس كذلك ؟
— أوه ! طبعاً ، إذا قررت السفر إلى بترا .

- سأبذل كل جهدي في هذا السبيل .

فابتسمت له ساره ، واستدارت . وكان طريقها إلى خارج الغرفة يمر بمكان جلوس الأسرة ، وراح الدكتور جيران يرقب الموقف ، فرأى نظرات المرأة البدينة تتركز على الشاب ريموند .. ورأى ريموند يدير وجهه ، لانهو ساره ، وإنما بعيداً عنها ، وكأنما هناك يد خفية تضغط على الوجه وتبعدنه عن اتجاه ساره .

ولاحظت ساره كل شيء ، فلم تتألك ان تشعر بالاستياء من ريموند ، إذ تذكرت انها تحدثت معه في القطار حديثاً ودياً طويلاً وتبادلا المعلومات والذكريات عن الآثار المصرية ، وعن اللهجات المحلية ، وكان الشاب يبدو لها متحمساً كتلميذ يقوم بأول رحلة مدرسية خارج وطنه . فما معنى موقفه الآن ؟ ولماذا يشيح بوجهه عنها ؟

وقالت لنفسها في استنكار :

- إني لن أهتم بأمره بعد اليوم .

وكانت ساره تعرف تماماً انها جميلة وجذابة ، لهذا لم يكن في وسعها أن تقبل مثل هذا التصرف من شاب عرفته وتحدثت اليه .

وبدلاً من أن تكتب رسائلها ، جلست أمام مرآتها تمشط شعرها وتفكر في حياتها . كانت قد خرجت لتوها من أزمة عاطفية اليمة ، إذ فسخت خطوبتها ، في الشهر السابق ، مع طبيب شاب يكبرها بأربعة أعوام . وكان سبب فسخ الخطوبة ، إدراكها في النهاية أن كلا منهما له شخصية قوية ، وأن الاصطدام بين شخصيتهما لا بد ان ينتهي إلى التماسه إذا تم الزواج ولكن هذه الازمة العاطفية سببت لها آلاماً نفسية عنيفة ، وجعلتها تقوم بهذه الرحلة للترفيه ، قبل ان تعود الى وطنها ، المحلثرا ، وتبدأ حياتها العملية .

وارتدت أفكارها من الماضي إلى الحاضر ، وتركت في النهاية على الشاب

ريموند فشمرت بلون من الاحتقار له ، وكان مصدر هذا الشعور ذلك الخضوع
المهين الذي جعل الشاب يتجاهلها خوفاً من أمه !
ومع ذلك !
إن احساساً غريباً يخامرهما .. فلا شك ان هناك مديناً ما ، سبباً غامضاً
وراء تصرف الشاب !
وفجأة وجدت نفسها تقول بصوت مسموع ، وبلهجة حاسمة :
- ان هذا الشاب في حاجة الى انقاذ .. ولسوف أرى ماذا يجب أن
أفعل من أجله !

عندما تركت ساره المكان ، تلكا الدكتور جيران في ركن من غرفة المكتبة لحظات ، ثم مضى الى مائدة الكتب والمجلات ، وتناول صحيفة «الماتان» ومضى بها الى مقعد قريب من أسرة بونتون .

كان في أول الامر يتسلى باهتمام الفتاة الانجليزية ساره ، بهذه الاسرة الامر بكية . وكان يشعر ، ان اهتمامها هذا ينبع من اهتمامها الخاص بواحد معين من أفرادها . الشاب الجميل ، الذي يشبه أحد آلهة الإغريق .

أما الآن ، فقد بدأ هو نفسه يهتم بأمر هذه الاسرة ، حين أدرك بخبرته في علم النفس ، وتجاربه في الامراض العصبية أن هناك شيئاً غامضاً يحيط بهذه الامرة .

وراح من وراء صحيفته يخلط النظر الى أفرادها .. فركز اهتمامه أولاً على الشاب الذي أثار إعجاب واهتمام الانجليزية الحسنة ساره كنج .

وأدرك الطبيب في الحال ، ان الشاب من الطراز الذي يستهوي فتاة مثل سارة .

انها فتاة تتمتع بقوة الشخصية ، وبالاتزان الفكري ، وبالتفكير المنطقي

السليم ، وبالارادة القوية . بينما يبدو على الشاب انه مرهف الحس ، خيالي
النزعة ، كما كان في تلك اللحظة يعاني من مؤثر عصبي شديد . ولم
يعرف الدكتور جيرار لماذا ؟ لماذا تتوتر أعصاب شاب وسم يستمتع برحلة
خارج بلاده ؟

وحول الطبيب اهتمامه الى بقية أفراد الاسرة .
كان من الواضح ان الفتاة ذات الشعر الكستنائي هي أخت ريموند .
كان الشبه بينهما واضعاً في تركيب الجسم ، وفي المظهر الارستقراطي
العام ، كما كانت ايضاً متوترة الاعصاب مثله .
وكان هذا التوتر يبدو واضحاً في صوتها وفي عباراتها السريعة القصيرة
الحاسمة .

وسمع الدكتور جيرار مقتطفات من احاديث الاسرة ، عبارات عادية
يمكن ان تدور بين أفراد أية أسرة أخرى :
- ربما نذهب الى حظيرة جيماد فندق الملك سليمان .
- ليس في هذا مشقة هل أمنا ؟
- ثم نمضي الى حائط المبكى في الصباح .
- والمعبد أيضاً ، انهم يسمونه مسجد عمر .

انها عبارات عادية يمكن ان تتبادلها افراد أية أسرة تقوم برحلة
خارج البلاد .

ولكن شيئاً ما في نبرات الاصوات جعل الدكتور جيرار يشعر ان
هذه العبارات لا تمت الى الحقيقة بسبب ، او بمعنى آخر عبارات
تخفي وراءها معاني أخرى اعماق واغمض ، وابعد عن تفكير الشخص
العادي .

ومرة أخرى اختلس الطبيب نظره من وراء صحيفته ، وركزها
هذه المرة ، على لينوكس ، اكبر الابناء ، وبدأ له في وضوح ، انه

انسان يائس تماما . فقد كانت امارات اليأس والاستسلام ، ناطقة على وجهه !

ومن ثم قال جيارار لنفسه :

- إن المسكين ، يشبه مريضاً بالسرطان ، يعلم ان نهايته اقتربت ، فهو يلتظرها في استسلام ، شاكراً الله على حقن المخدر ، التي تخفف عنه آلامه .

وتحول الدكتور جيارار بنظراته إلى الفتاة الصغرى ، التي بدت له في نحو التاسعة عشرة من العمر ، رقيقة ، صافية البشرة ، ذهبية الشعر ، جميلة الملامح ، وكانت جالسة في شبه ذهول ، تبسم لنفسها ، وكأنها تحلق في عالم بعيد عن مدينة القدس ، وفندق الملك سليمان .

وقد ذكرته ابتسامتها الزاهلة ، بابتسامات تماثيل الالهة ، في معابد الاغريق .

ولكنه لاحظ فجأة ان يديها اللتين كانتا في حجرها ، مشغولتين بتمزيق منديل حريري صغير ..

وكانت صدمة عنيفة لجيارار .. هذه الابتسامة الزاهلة ، والجسم الساكن ثم اليدين المدمرتين !

ورفعت الأم البدينة العجوز رأسها ، وسعلت قليلا ، ثم قالت للفتاة الصغرى :

... جنيفراً ، انك متعبة يحسن ان تأوي إلى فراشك .

وأجفلت الفتاة .. وجسدت أصابعها على المنديل الممزق ، ثم قالت :

.. إني لست تعبة يا أماء !

وأعجب جيارار بصوت الفتاة الموسيقي ..

كانت الموسيقي فيه تضيف ، على أية عبارة تنطق بها رنيناً عذباً

يسعد الأسماع .

وردت الأم بصوتها المنفر قائلة :

- لا ، بل انت متعبة ، وأنا أعرف هذا دائماً . وإذا لم تنهضي للاستراحة الآن ، فلن تستطيعي ان تقومي معنا بحولة الغد لمشاهدة الآثار .
- اني في أحسن حال يا أماء . لا أشعر بأي تعب

وبصوت أجش تؤذي سماعه أعصاب الأذن قالت الأم :

- لا ، انك لست على ما يرام ، وسوف ترضين .

- أبداً ، أبداً يا أماء إلى بخير .

وبدأت الفتاة ترتعد بعنف

وهنا ، سمع جيران صوتاً رقيقاً هادئاً يقول :

- سوف أصعد معك إلى غرفتك يا جيني .

ونفضت صاحبة الصوت ، السيدة الهادئة ذات العينين الرماديتين الواسعتين

والشعر الفاحم ، زوجة لينوكس .

ولكن الأم المعجوز قالت بصوت حازم :

- لا يا نادين دعها تمضي بمفردها .

وصاحت الفتاة قائلة في احتجاج :

- لا ، إني أريد ان تأتي نادين معي ..

فتقدمت نادين نحوها خطوة وهي تقول :

- سوف أصحبك طبعاً يا جيني .

لكن الأم المعجوز عادت تقول :

- إن جنيفرا تفضل الذهاب إلى غرفتها بمفردها .. اليس كذلك

يا عزيزتي ؟

وبعد لحظة صمت ، قالت جنيفرا بصوت كله يأس واستسلام :

- نعم ، أفضل الذهاب بمفردي ، شكراً لك يا نادين .

ثم استدارت ومضت بقامتها الطويلة ، وخطواتها الرشيدة ، وأزاح الدكتور جيرار الصحيفة عن وجهه ، وأخذ ينظر إلى الأم المعجوز المسز بونزون ، في تأمل وقد رآها تشيع ابنتها بنظرات تنم عن الرضى ، وعلى شفقتها إبتسامة غريبة غامضة .

وبعد وهلة حولت المرأة المعجوز نظراتها إلى تادين التي عادت إلى مجلسها ، ورفعت هذه رأسها وبادلت حماتها النظر ، وقد خلا وجهها ، من أية تمبيرات ، تنم عن حقيقة مشاعرها . أما نظرة المعجوز فكانت مليئة بالشر والحقد .

وقال جيرار لنفسه :

— يا لها من امرأة طاغية فريدة من نوعها !

وتذكر جيرار امرأة شابة كانت تروض الوحوش .. تذكر ان نظراتها كانت تشبه في قوة تأثيرها نظرات هذه المرأة المعجوز . وتذكر أيضاً كيف كانت الوحوش تنظر الى المروضة بعيون مليئة بالحقد والكراهية لكنها لم تكن تستطيع إلا ان تستسلم للأوامر . فقال لنفسه :

— انها نموذج للطاغية الرهيب .

وأدرك ، في تلك اللحظة ، المعاني الحقيقية التي كانت تختفي خلف عبارات أفراد الأسرة عند الحديث العادي . انها معاني تنم عن الحقد والكراهية والتمرد المكبوت .

وعاد ينظر باهتمام إلى السيدة الشابة المدعوة تادين ..

كان خاتم الزواج في اصبع يدها اليسرى ، وقد أدرك من نظراتها السريعة القلقة الى الابن الأكبر ، لينوكس ، انه زوجها ..

كانت نظرات زوجة الى زوج ..

بل نظرات أم الى ابن .

أم كلها المعطف والحنان والقلق ، الى ابن ضعيف مريض ، هادىء
الحركة ..

ومن نظرات نادين عرف انها الوحيدة بين أفراد الأسرة ، التي لا تخشى
جاراتها . إنها تكرهها ، وهذا واضح جداً ، ولكنها لا تخشاها ..

ورغم ما يتم عليه وجهها من بؤس وقلق ، بسبب حالة زوجها ، فقد كانت
هي الوحيدة التي تعرف معنى الحرية ، كانت هي الوحيدة التي تواجه عيني
الأفعى دون ان ترتعد !

بينما كان جيران يفكر في هذا كله ، اذا برجل يدخل قاعة المكتبة ،
فإذا هو يتجه نحو أسرة بونتون حين وقعت عيناه على أفرادها ، وكان رجلاً
أمريكياً في منتصف العمر ، شديد العناية بملابسه ، وكان صوته رتيب
الذبرات ، وهو يتحدث قائلاً :
- كنت أبحث عنكم .

وبعد أن صافح الجميع ، قال للأم المعجوز :
- كيف حالك الآن يا مسز بونتون ؟ هل أتعبتك الرحلة ؟
والمرة الأولى كان صوت الأم رقيقاً بعض الشيء ، وهي تقول :
- لا .. شكراً .. ان صحتي كما تعلم ، لم تكن جييدة ، في الأشهر
الأنهيرة ..
.. أنا آسف .

- لكنني لست أسوأ حالاً مما كنت
ثم رسمت على شفתיها ابتسامة بطيئة وأردفت قائلة :
- وان نادين تهتم بأمري ووعائي .. اليس كذلك يا نادين !
فقال نادين بصوت غير معبر :
اني أحاول ان أبذل كل ما في وسعي .

فقال الرجل الغريب بحماس :

— انني واثق من هذا .. حسناً . ما رأيك ، يا لينوكس ، في مدينة
القدس هذه ؟

فغمغم لينوكس قائلاً .

— لا أعرف .

— اني ارجو ان أفرغ من رؤية كل شيء في القدس خلال يومين . لقد
تركت مكتب كوك للسباحة ينظم هذه العملية ..

ان مندوبيه سيصحبونني الى الناصرية ، وبحيرة طبرية ، وبيت لحم ،
وبحر الجليل ، وغير هذا كله .

كما أرجو ان أتمكن من زيارة مدينة قانا الافرنية ، الناصرة في واد من
الصخور الوردية .

انها بعيدة عن العمران ، وتحتاج الى ستة أيام على الأقل ، ذهباً
واقامة واياً ..

General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

ولكنها جديرة بضياع هذا الوقت
وقالت كارول :

— لشد ما أتمنى زيارتها ! ان حديثك عنها ، يا مساتر كوب ،
مشوق جداً .

فقال المساتر كوب ، وهو ينظر متسائلاً ، الى المسز بونتون ،
العجوز :

— ان الرحلة شاقة ، وأعتقد ان المسز بونتون لا تتحملها ، ولهذا لا بد
أن يبقى معها بعضكم هنا ، على أن يذهب البعض الآخر لزيارة هذه المدينة
التاريخية ، انها جديرة بالزيارة حقاً .

فقالت الأم :

— اننا لا نحب ان نفترق ، او ان ينفصل بعضنا عن بعض ، ما

رايكم يا اولاد ؟

وجاءت الإجابات سريعة متوالية :

- نعم .. نعم يا أماء !

فارتسمت ابتسامة غامضة على شفתיها .

ثم قالت للمستركوب :

- أترى !، انهم يرفضون ان يتركوني .

ثم نظرت الى نادين وأردفت قائلة :

- نادين ؟ انك لم تقولي شيئاً ؟ ما رأيك ؟

- اني لا أريد الذهاب الى هذه المدينة الا اذا شاء لينوكس !

فقال الأم وهي تدير رأسها الى لينوكس :

- ما رأيك يا لينوكس ؟ لماذا لا تأخذ نادين وتذهب الى بيتها ؟ انها تريد

الذهاب كما يبدو ..

فأجفل لينوكس قليلاً ، ثم قال متلعثماً

- آه ! حسناً ! لا ، يحسن ان نبقى معاً ، جميعاً

فقال المستركوب :

- انكم في الواقع أسرة متماسكة ..

وأحسن جيرار ، الذي كان يسمع هذا كله ، ان صوت المستركوب

المتلطف ، كان ينطوي على معان أخرى .

معان جوفاء متكلفة

فقال الأم ترد عليه :

- اذننا نحب ان نعيش معاً بعيداً عن الاختلاط بالغير .

ثم اردفت قائلة لريموند :

- وبهذه المناسبة ، يا ريموند .. من هي تلك الشابة الحسناء التي تحدثت

اليك منذ قليل ؟

فاضطرب ريموند واضطرب وجهه وقال متلعثمًا :
- انني .. انني ، لا أعرف اسمها .. فقد قابلتها ، مصادفة ، في
القطار .

وبدأت المسز بونتون تنهض ببطء عن مقعدها وهي تقول :
- أعتقد انه لا داعي للتعرف بها .
ثم أردفت قائلة بلمهجة الأمر :
- حان وقت النوم ، طاب مساؤك يا مستر كوب .
- طاب مساؤك ، يا مسز بونتون . طاب مساؤك ، يا مسز
لينوكس ..

وسار أفراد الأسرة خلف الأم المجوز ، في موكب حزين ، ولم يخطر
ببال أحدهم ان يتخلف عنها .
وراح مستر كوب يشيعهم بنظراته ، وقد ارتسمت على وجهه
امارات غامضة .

وكان الدكتور جيرار يعرف من تجاربه ان الامريكيين ، بعكس
الانجليز ، يميلون الى التعرف بالسير ، لا سيما أثناء الرحلات ، خارج
الوطن .

ومن ثم قرر ان يتعرف بالمستر كوب ، ليعرف منه كل ما يمكن ان يعلمه
عن هذه الأسرة الغريبة الأطوار .

وسرعان ما قدم اليه بطاقته ، وهتف المستر جيفرسون - كوب حين
قرأ الاسم :

- الدكتور جيرار ، أه .. لقد كنت استاذًا زائرًا في جامعات امريكا
منذ عهد قريب ، اليس كذلك ؟

- نعم ، وكانت آخرها جامعة هارفارد .
- أه .. انني سعيد بمعرفتك يا دكتور ، يبدو ان هذا الفندق مزدحم

بالشخصيات العالمية . فقد رأيت فيه السير جابريل ستانينبوم واللورد ويلدون ،
والسير ماندرز ستوم عالم الآثار المشهور والليدي وستولم السياسية الانجليزية
المشهورة والمخبر الجنائي هيركيول بوارو .
- أهو هنا ، هيركيول بوارو القصير ؟

وفي هو الفندق ، وأمام كأسين من الويسكي ، قال الدكتور جبرار
للمستر كوب :

- كنت منذ مدة قصيرة تتحدث مع اسرة امريكية نموذجية .
- نعم ، نعم ، لكنها ليست نموذجية برأيي .

- يبدو أن افرادها متأسكين ، ومتفانين ، في علاقات بعضهم
البعض .

- تعني انهم يدورون في فلك الأم المعجوز ، نعم . . هذه هي الحقيقة انها
سيدة مذهشة .
- حقاً ؟

وشربالمستر كوب كأسه الثانية وقال :

- اني لا اجد مانعاً من ان اتحدث اليك عن هذه الامرة ، انها في
الواقع من الاسر التي تثير اهتمام الغير بقرابة سلوك افرادها . وارجو الا
اثقل عليك بالحديث عنها .
- لا ، لا ، مطلقاً .

وفي شيء من الارتباك قال مستر كوب :

- ان المسز بونتون صديقة قديمة لي ، اعني المسز بونتون الشابة زوجة
لينوكس بونتون ، لا المسز بونتون المعجوز .
- آه ، تعني تلك السيدة الجذابة ذات الشعر الأسود .

- نعم ، انها تدين . كنت أعرفها قبل زواجها من لينوكس ، كانت
يومذاك تتدرب في المستشفى لتطفر بشهادة التمريض .

ثم ذهبت إلى قصر آل بونتون لتقضي إجازتها ، وهناك تزوجت لينوكس .

وقد كان المرحوم المستر بونتون ، رجل الأعمال المشهور ، قد تزوج مرتين . وماتت زوجته الأولى ، تاركة له لينوكس في سن العاشرة ، وريموند في الخامسة من عمره ، وكارول في الثالثة من عمرها .

وكانت زوجته الثانية ، مسز بوندون هذه ، جميلة عندما تزوجها المستر بونتون ، أي منذ عشرين عاماً .

إن من يراها الآن لا يمكن أن يتصور أنها كانت يوماً ما جميلة ، ولكن الذين رأوها في شبابها يؤكدون هذه الحقيقة .

وكانت معروفة بقوة الشخصية ، والذكاء الحاد ، والقدرة على مواجهة كل الظروف .

ومن ثم راح زوجها المستر بونتون يعتمد عليها في شؤونه ، ولا سيما بعد أن أمضى السنوات الأخيرة من عمره مريضاً في الفراش .

وبعد وفاته ، كرست حياتها لتربية أولاده ، وكانت قد أنجبت منه ابنة صغرى ، هي جنيفرا ، أو جيني . تلك الفتاة الرقيقة ذات الشعر الذهبي .

وكما قلت لك يا دكتور جيرار كرست الأم حياتها لتربية الأبناء ، حجبتهن عن العالم تماماً ، فجعلتهن يعيشون معها في قصر الوالد دون أي اختلاط مع أحد .

وكانت النتيجة أنهم نشأوا . ، متوترى الأعصاب ، ضعاف الشخصية ، بلا تجارب ، وبلا أية قدرة على اكتساب الأصدقاء . وهذا الأمر ، سيء جداً .

— نعم بكل تأكيد .

— لكنني لا أشك في أن المسز بونتون كانت حسنة النية .

- ألم يحاول أحدهم القيام بعمل ما ؟
- لا ، مطلقاً . . لقد ترك لهم أبوم ثروة طائلة ، وأوصى بها كلها
لزوجته ، على أن يتقاسمها أبناءه ، الذكور والإناث ، بالتساوي بعد
وفاتها . .

- وهذا يعني أنهم يعتمدون في معاشهم عليها تماماً .

- نعم ، والأسوأ من هذا أن أحداً منهم لم يحاول أن يشغل وقته بعمل
أو بهواية ما أو بالرياضة أو التردد على صالات الموسيقى والرقص . صحيح
أن ريموند لا يزال شاباً ، ولا تزال الفرصة أمامه ليلبحث عن عمل
يرتق منه . أما لينوكس ، فإنه قد انتهى . . ضاعت منه كل الفرص
ليثبت جدارته بالحياة .

- لا شك أن زوجته غير سعيدة بهذا الوضع .

- طبعاً يا دكتور جيرار . إن نادين فتاة رائعة وأنا شديد الإعجاب بها .
ورغم أنها لا تشكو إلا أنها غير سعيدة ، أؤكد لك هذا .
- وماذا في وسعها أن تفعل يا مستر كوب ؟

لو كنت مكانها لطلبت من لينوكس أحد أمرين : إما أن يعيش كرجل
حر أو أن يطلقها .

فقال جيرار باسم :

- لعلها لا تريد أن تنفصل عنه .

- لماذا ؟ أن هناك كثيراً من يتمنون أن يتزوجوا منها .

- مثلك ، مثلاً !

- نعم ، وأنا لا أخجل من التصريح بهذا . في احترامها وأحبها أشد
الحب وأتمنى أن أراها سعيدة ، فإذا تأكدت أنها سعيدة مع لينوكس ،
فسوف أخفي من حياتها فوراً .
- وإذا لم تكن ؟

• في هذه الحالة يجب ان اكون بجانبها ، فإذا احتاجت الي ، امرعت
لنجدتها •

فنفهم جيران قائلا :

— اي تعتبر نفسك فارس النجدة المثالي ا

فنظر كوب اليه بارتياح • وعندئذ قال جيران موضحاً :

— أعني انك تتخذ موقف البطل النبيل الذي يضع حياته تحت امر

البطلة دون انتظار شيء •

— اني اريد فقط ان اكون بجانبها عندما تحتاج الى معونتي •

كانت ساره كنج تقف في صحن المسجد الأقصى ، وتأمل باعجاب شديد روعة بنائه ، وعظمة قبته المشيدة على صخرة مرتفعة ، وجمال نقوشه ، حين سمعت وقع اقدام كثيرة في الجانب الآخر ، فلما استدارت شاهدت امرأة بونتون ومعهما المرشد السياحي ، الذي كان يشرح لها روعة هذا المسجد الاثري الجميل .

وكانت مسز بونتون العبوز تسير معتمدة على ذراعي لينوكس وريوند ، وكانت فادين ومستر كوب الامريكي يسيران وراهم ، اما كارول فكانت في المؤخرة .

ولحت كارول ساره فوقفت مترددة ثم اسرعت وتقدمت منها خلسة عن بقية الامرء وهمست لها قائلة :

— معذره ، يجب ان اعتذر اليك .

— لماذا ؟

— عن اخي ريوند ، لا شك انك استأت منه بسبب موقفه معك أمس حين تحدثت اليه ، ارجو ان تلتمسي له العذر .. انه لم يعتمد ان يتجاهلك .. ابداً ..

وشعرت ساره بغرابة الموقف . لماذا تحاول هذه الفتاة ان تعتذر بئثل

هذه اللفة عن تصرفات أخيها نحوها ، نحو فتاة غريبة عنه تماماً .
وقالت للصبيبة ، وقد شعرت بفرزتها ، ان هناك شيئاً غير طبيعي
في الموقف بأجمعه :

- ولماذا تعتذرين عن سلوك أخيك ؟
- قد تحدث أخى معك في القطار ، اليس كذلك ؟
- نعم ، او على الاصح انا التي تحدثت اليه .
- ومع هذا لاحظت امس ، ان أخى كان خائفاً من الحديث معك
امس ،
- خائفاً ؟

واضطرم وجه كارول بعد ان كان شاحباً وقالت :
- ان الامر يبدو غريباً ولكن .. ان امي .. انها ليست على ما
يرام ، وهي تكره ان تختلط بأحد خارج محيط الامر ، ولكنني اعرف
ان شقيقي ريموند يحب ان يتعرف بك .

وقبل ان ترد ساره ، تابعت كارول قائلة بلهفة :
- أعرف انني سأبدو في نظرك بلهاء . ولكننا أسرة غريبة الأطوار .
ثم تلفتت حولها وأردفت قائلة :
- يجب ان أنصرف بسرعة قبل ان تكشف أمي غيابي ..

وقالت ساره وقد عقدت عزمها على شيء :
- لماذا لا تمكثين معي إذا كانت هذه رغبتك ؟ ماذا يمنعك من أن تسيري
معي قليلاً في الخارج .

- أو لا ، لا ، لا أستطيع ان أفعل هذا ..
- لماذا ؟

- لأن أمي .. أمي .
وسكتت فقالت ساره بهدوء :

أنا أعرف ان من العسير على الأمهات أحياناً أن يدركن أن أبناءهن قد كبروا وأصبح في مقدورهم الاعتماد على أنفسهم . لكن من الخطأ الشديد أن يستسلم الانسان لمثل هذه النزوات . يجب على الابن أو الابنة في سن معينة أن تدافع عن حقوقها المشروعة .
فغمغمت كارول قائلة :

— انك ، انك لا تعرفين حقيقة الظروف التي نعيش فيها .

— مهما تكن هذه الظروف ، فإن لكل إنسان قدراً معيناً من حرية التصرف وإن عليه ان يدافع عن هذا القدر بكل ما يملك الحرية نحن لا نعلم ما هي هذه الحرية .
إنني لا أصدق هذا .

— إسمعي . يجب ان أحاول شرح الأمر لك لقد كانت أمي قبل زواجها من أبي ، إنها في الواقع ليست أمي وإنما زوجة أبي فقط ، كانت سبجانة في سجن بنيويورك ، وكان أبي مديراً لهذا السجن قبل أن يتزوجها ويستقيل ويشتغل بالأعمال الحرة . حسناً .. ومنذ تزوجت أبي وهي تمارس معنا مهنتها السابقة ، تعاملنا كما يعامل السجناء المسجونين ، وهذا ما يجعلنا نشعر أننا نعيش في سجن ..

ثم تلفتت وراءها وقالت بسرعة :

.. إنهم سيفتقدوني ، يجب ان أعود بسرعة ..

فأمسكت ساره بذراعها قبل ان تنفلت وقالت هاهنا :

انتظري لحظة ، يجب أن نلتقي ثانية ونحدث .

.. لا ، لا أستطيع .

— بل تستطيعين .. تعالي إلى غرفتي بعد ان تأوي إلى فراشك ، إني في الغرفة رقم ٣١٩ ، لا تنسي هذا الرقم ..
وتركت ذراعها ، فانفلتت كارول عائدة لأمرتها .

وشردت أفكار سارة وهي تشيع الفتاة بنظراتها ، ثم تنبّهت على صوت الدكتور جيرار وهو يقول بجانبها :

- طاب صباحك يا مس كنج ، إذن فقد كنت تتحدثين مع المس كارول بونتون

- نعم ، فقد تبادلنا أغرب محادثة يمكن أن تتصورها .. دعني أسردها عليك

ولا فرغت من سرد مضمون المحادثة عليه ، قال جيرار معلماً على نقطة هامة في الحديث :

- إذن فقد كانت سجانة . تلك الخرتيطة القبيحة ! ان هذا يفسر تصرفاتها القاسية مع أفراد الأسرة .

- هل تعني ان عملها السابق كسجانة هو السبب في طغيانها ؟

- لا ، وإنما العكس هو الصحيح .. إنها لا تحب الاستبداد والظغيان لأنها كانت سجانة ، وإنما حبها الغريزي للاستبداد والظغيان هو الذي دفعها للاشتغال بهذا العمل .

في رأيي انها امتنعت هذا العمل بدافع غريزي للسيطرة على غيرها من البشر ، وأنا واثق من انها تستمد سعادتها من رؤية الآخرين يتعذبون ، وكلما كان عذابهم نفسياً وفكرياً كانت سعادتها أشد .

فأخبرها جيرار بحديثه مع مستر كوب الأمريكي ، وعندئذ قالت ساره بمفكره :

- هذا يعني ، انه لا يعرف حقيقة ما يجري ، في يحيط هذه الأسرة .

- وكيف يمكنه ان يعرف وهو ليس عالماً نفسياً .

- صدقت ، إنه أمريكي عادي ينظر الى الحياة من زواياها الواضحة البسيطة ، إنه يؤمن بالخير دون الشر ، ويعتقد ان أسرة بونتون من

الأسر النموذجية ، المترابطة بوشائج الحب والوفاء وهو يعتقد أن تصرفات المسز بونتون نحو أفراد أسرتها نابعة من حبها لهم ، ورغبتها في حمايتهم من شرور الغير .
- أعتقد هذا .

لكن لماذا لا يحارلون الحرب منها ! إن هذا في مقدورهم ، لو أرادوا .

- لا ، إنهم لا يستطيعون ، لقد بذرت في نفوسهم منذ الطفولة ، بأنهم لا يستطيعون الحياة بدون رعايتها وحمايتها ، لقد عرقت بقوة شخصيتها ، كيف تسيطر على أفكارهم وتخضعها لأرادتها .
إنهم الآن كالسائمين مغناطيسياً ، الذين لا يستطيعون إلا ان ينفذوا رغبات النسوم ، وان طول اقامتهم في سجن شخصيتها ، جعلتهم عاجزين عن محاولة الخروج من هذا السجن ، حق لو كانت أبوابه مفتوحة أمامهم

وصمت جيران برهة قبل أن يردف قائلاً :
- وان واحداً منهم على الأقل ، فقد الرغبة تماماً في التحرر .. انه المسكين لينوكس .
فقالت ساره في ضيق :

- كان ينبغي على زوجته تادين أن تفعل شيئاً من أجله ، كان يجب أن تدفعه لتحطيم قيوده والخروج للحياة الواسعة .
- من يدري ؟ لعلها حاولت وفشلت .
- أعتقد انها أيضاً خاضعة لسيطرة هذه الشيطانة ؟

- لا ، لا أعتقد ان المرأة الطاغية سيطرة عليها ، ولهذا فإنها تحقد عليها حقدًا قاتلاً . راقبي نظراتها اليها .
وفجأة قالت ساره بحماس :

- ان هذه المرأة المعجوز يجب ان تقتل ، راني لأنصح بأن قوضع لها كنية
من الزرنيخ في قدح شاي الصباح !
ثم قابعت تقول بلمهجة جادة
- وماذا عن الابنة الصغرى ، ذات الشعر الذهبي ، والابتسامة
الذاهلة !

وقطب جبرار جبينه وقال
- اني لا أعلم . فالواقع ان الأمر هنا يختلف وان كان شاذاً أيضاً . انها
ابنة المرأة المعجوز .. ابنتها الحقيقية .
- نعم ، وهذا يجعل الموقف معها يختلف .
- لا أظن انه يختلف كثيراً ، بل لعل سيطرة الأم على هذه الابنة أقوى
من سيطرتها على بقية أفراد الاسرة ..

* * *

تساءلت ساره في نفسها ، بعد أن تجاوزت الساعة منتصف
الليل :

- ترى هل ستأتي كارول كما طلبت منها ؟

وفيما هي تشغل نفسها بإعداد قدح من الشاي ، قبل ان تأوي
الى الفراش ، اذا باب الغرفة يفتح ، واذا كارول تدخل على أطراف
أصابعها .

فقالَت بأنفاس لاهثة :

- كنت أخشى ان أجذك نائمة .

فردت ساره بصوت هادئ :

- اني في انتظارك تعالي ، واشربي معي ، قدحاً من الشاي ..

وقالت كارول بعد أن هدأت نفسها :

- هل تتصورين اننا لم نذهب في حياتنا الى مدرسة ا
- لهذا الحد ؟

- نعم كان المدرسون الخصوصيون يعلموننا في البيت ، بل اننا لم نر الدنيا الا في هذه الرحلة فقط .
- لا شك أنكم سعداء بها جداً ..

- أوه .! جداً ، جداً . انفسا نعيش كأننا في حلم جميل ،
وكل ما نخشاه ، أن نستيقظ بعد أيام ، ونجد أنفسنا داخل السجن ،
مره أخرى .

- ولكن .. ما دمت غير سعداء في العيش مع هذه (الأم) ، فلماذا لا
تفصلون عنها ؟

قالت كارول بخوف

- أوه .! لا .. كيف يمكننا هذا ؟ أعني ، انها لن تسمح لنا
بهذا اطلاقاً .

- ولكننا ، لا نستطيع أن نمنعكم .. انكم قد بلغت جميعاً
سن الرشد .

- انني في الثالثة والعشرين من عمري .

- تماماً ! .

- ومع ذلك فإني لا أدري أين أذهب .. او ماذا يمكن ان افعل
خارج البيت .

ورأت ساره ان تغير الموضوع بعد ان اشفت على الفتاة المعذبة ؛
ومن ثم قالت :

- هل تحبين زوجة ابيك هذه ؟
وهزت كارول رأسها ببطء ..
ثم قالت بصوت هامس مرتعد بالخوف :
- اني اكرهها .. وكذلك ريموند .. وكثيراً ما تمنينا ، ووتها .
وفانية غيرت ساره الموضوع فقالت :
- حدثيني عن أخيك الأكبر .
- لينوكس ؟ اني لا أدري ماذا دهم لينوكس ! إنه لا يكاد ينطق
بكلمة الآن ..
إنه يعيش كأنه في حلم أو في يقظة حائلة . وإن زوجته نادين تشمر
بالقلق البالغ من أجله .
- إنك تحبين زوجة شقيقك ، اليس كذلك ؟
- نعم ، إن نادين مختلفة عن زوجة أبي . إنها دائماً عطوف ورقيقة ، وهي
أيضاً ليست سعيدة .
وصمتت كارول برهة قبل ان تستطرد قائلة :
- اني لا أعتقد ان زوجة أبي تحب نادين ، إن نادين غريبة الطباع بمض
الشيء ، وأهم ما يميزها انك لا تعرفين حقيقة مشاعرها .. إن وجهها لا ينم عما
يحجري في داخل نفسها أو عقلها ..
وقد حاولت كثيراً أن تساعد أختنا الصغرى ، جيني ، على احتال
هذه الحياة ، ولكن زوجة أبي كانت تضيق بهذه المساعدات ،
وترفضها
- تقصدين جنيفرا ، أختك الصغرى ؟
- نعم ، جنيفرا ، هي أختنا من أبينا .
- وهل هي غير سعيدة أيضاً ؟
- إن جيني تبدو غير عادية في الأيام الأخيرة ، وأنا لم أعد أفهمها إنها

كما ترين رقيقة مرفقة .
وإن أمها تهتم بها أكثر من اللازم ، وهذا يزيد من سوء حالتها ، ومن
شعورها بالقيء .
وفجأة نهضت كارول قائلة :

- لا يجب أن أزعجك أكثر من هذا . إنني شاكرة لك هذه الفرصة
التي ألحمت لي فيها الحديث معك . ولا شك أنك ستعتقدين أننا أسرة
عجيبة جداً .
فقالت ساره ببساطة :

- إن كل إنسان لا يخلو من غرابة الطبع في كثير من الحالات .
أرجو أن تزوريني مرة أخرى . ويمكنك أن تصحبي أخاك ريموند ،
إن شئت ..

فهمت كارول باهتمام :

- هل يمكنني هذا حقاً ؟

- نعم .. لسوف تدبر أمر مساعدتكم ، سرّاً .. وأرجو أن
أقدمكم إلى صديق لي .. الدكتور جيار .. وهو طبيب فرنسي
مشهور .

واضطرم وجه كارول وهي تقول :

- ما أجل هذا وأروعه . ولكنني أخشى أن تكتشف زوجة
أبي أمراً ..

وكادت ساره أن تنطق بعبارة قاسية ضد تلك المرأة الطاغية ، ولكنها
كتمت مشاعرها وقالت بهدوء :

- كيف يمكنها أن تعرف ؟ طابت ليلتك يا عزيزتي كارول .. غداً في
مثل هذا الوقت نلتقي ثانية .

- نعم ، نعم ، لأننا قد نرحل بعد غد .

- إذن ، فليكن لقاءنا غداً ، في مثل هذا الوقت بالتأكيد ..
طابت ليلتك .

- طابت ليلتك ، وشكراً جزيلاً .

وبوجه كله السعادة والرضى ، غادرت كارول الغرفة بهدوء ،
وسارت في الممر ، ثم صعدت الدرجات الى الطابق الأعلى ، حيث تقع
غرفتها . وما كادت أن تفتح الباب وتدخل ، حتى تسمرت في مكانها من
فرط الرعب .

لقد رأت زوجة ابيها ، بسمتها المفزعة ، جالسة في مقعد وثير يحوار المدفأة
وقد ارتدت ثوباً قرمزيًا ضاعف من بشاعة منظرها .

وتركزت نظرات المسز بونتون النارية على وجهها ، وهي تقول لها .

- أين كنت ؟

- انا . انا كنت . انا .

- أين كنت ؟

فارتعدت كارول وهي تسمع هذا الصوت الذي يشبه فحيح الأفعى ، فلم
يسعها إلا ان تعترف قائلة :

- كنت ازور المس كنج .. ساره كنج .

اهي نفس الفتاة التي تحدثت الى ريموند هذا المساء ؟

- نعم يا اماء ..

- هل اتفقتما على اللقاء ثانية ؟

ونحركات شفتي كارول بكلمة « نعم » دون ان يصدر الصوت . فقالت
المسز بونتون :

- متى ؟

- غداً في مثل هذا الوقت

- عليك الا تذهبي . هل تفهمين ؟

نعم يا اماء
عديني بهذا
اعدك يا اماء .

فنهضت المسز بونتون بمشقة من مقعدها ، فأمرعت كارول آليا الى
مساعدتها .

فقالا المعجوز وهي تغادر الغرفة متوكئة على عصاها :
- عليك الا تتصلى بهذه المس كنج إطلاقاً ، اتفهمين ؟
- نعم يا اماء ..

- هل استطيع التحدث معك لحظة ؟
فاستدارت نادين بسرعة حين سمعت هذه العبارة ، فإذا هي تجد
نفسها في مواجهة شابة ، مجهولة لديها تماماً ، وإن كانت على جانب كبير
من الجمال .

فقال نادين آلياً وهي تتلفت حولها في قلق :
- نعم . نعم . طبعاً .
- ان اسمي ساره كنج .
- اوه ، حسناً .

- مسز لينوكس ، سوف اخبرك بأمر عجيب .. لقد تحدثت مع اخت
زوجك مدة طويلة قبل الليلة الماضية .
فطافت سحابة قلق بوجه نادين وهي تقول :
- تحدثت . مع جيني ؟
- لا مع كارول .

فانقشمت سحابة القلق من وجه نادين ، وقالت في شيء من الارتياح :
- اوه ؟ قهمت ؟ مع كارول . لكن كيف امكنتك هذا ؟
- جاءت الى غرفتي بعد منتصف الليل .

- فارتفع حاجبا نادين في دهشة ثم قالت :
- لا شك ان هذا التصرف كان غريباً في نظرك يا مس كنج ؟
- لا لأنني انا التي دعوتها .
- اوه ما اسعدني بهذا . اني سعيدة بصداقتك لكارول
- ... لقد تفاهمنا معاً بسرعة واتفقنا على اللقاء ثانية في الليلة الماضية لكن
- كارول لم تأت .
- لم تأت ؟
- نعم .. وقد مررت بها امس في هيو الفندق وتحدثت اليها ممساً
- لأذكرها بالموعد لكنها لم تجب علي وانما نظرت الي بسرعة ثم استدارت واندفعت
- بعيداً عني .
- امكذا ؟
- ولم تستطع ساره ان تستمر في حديثها ..
- ومن ثم قالت نادين :
- ان كارول فتاة مرهقة الأعصاب جداً ..
- اني طبيببة يا مسز لينوكس ؛ ولهذا ارى ان عزلة اختك عن المجتمع
- يضرها نفسياً وبدنياً ..
- اذن فأنت طبيببة ؟ ان هذا يحول الموقف مختلفاً . اعني يمكنني
- التحدث معك بصراحة .
- شكراً ؛ لكن هل ادركت ما اعني ؟
- نعم ؛ لكن حماقي في حالة صحية سيئة وهي تكره اشد الكراهية ان
- يتدخل الغرباء في شؤوننا الخاصة .
- لكن كارول فتاة رشيدة ؛ من حقها ان تتصرف كما تشاء .
- فهزت نادين رأسها وقالت :
- انها بالغة الرشد سنّاً وجسماً ، اما عقلاً فلا ؛ ولعلك لاحظت هذا اثناء

حديثك معها انها في حالات الطوارئ، تتصرف كطفل خائف .
- هل تعتقدين ان هذا ما حدث ؟ هل امتلأ قلبها خوفاً فلم تحضر
في الموعد ؟
.. يبدو لي يا مس كنج ان حماي اكتشفت علاقتك بها فحرمتم عليها
الحديث معك .

- وهل استسلمت كارول لأوامرها ؟
.. هل يمكنك ان تتصورى ان في مقدورها ان تفعل غير هذا ؟
فأدركت ساره من نظرات نادين انها ليست على استعداد لمواصلة
الحديث في هذا الموضوع ؛ كما ادركت انها خسرت اول جولة ضد
المرأة الطاغية .

وصاحت في النهاية
- ان هذا كله خطأ .. خطأ ..
فلم تقل نادين شيئاً ؛ لكن نظراتها كانت تدل على انها تعرف هذه
الحقيقة ؛ وتعرف ايضاً انه لا امل في اصلاح هذا الخطأ ..

وفتح باب المصعد الذي كانتا واقفتين امامه وخرجت منه المسز بونتون
متوكئة على عصاها ومعتمدة على ذراع ريموند .
فأجفلت ساره قليلاً حين شاهدت نظرات المرأة العجوز تنتقل من وجهها
الى وجه نادين .. واسرعت هذه الى حمايتها وشقيق زوجها لاركة ساره
واقفة بمفردها ..

فقال مسز بونتون لنادين :
- اهذه انت يا نادين ؟ حسناً .. لسوف اجلس واستريح قليلاً قبيل
ان اخرج ..

وجلست نادين بجوارها تنصت اليها وهي تسألها قائلة :
- مع من كنت تتحدثين يا نادين ؟

-- مع نزيلة هنا تدعى المس كنج . .

. آء . الفتاة التي تحدثت مع ريموند في تلك الليلة ؛ حسنًا لماذا ؟
لا تذهب وتحدث معها يا ريموند الآن ؟ انها هناك عند مائدة الكتابة في
قاعة المكتبة . .

وارتسمت على وجه المعجوز ابتسامة خبيثة وهي تتأمل ريموند .

وكان وجه الشاب قد اضطرم بشدة ، واشاح برأسه وهو يتمتم
بكلمات غامضة ،

لماذا لا تجيب يا ولدي ؟

-- اني لا اريد ان اتحدث معها .

حسًا ؟ انك لا تريد ان نتحدث معها ام انك لا تستطيع رغم لفتك
الى الحديث معها ؟

ثم أخذتها نوبة سعال حاد ، فلما هدأت قالت لنادين :

-- اني مستمتعة بهذه الرحلة يا نادين ، وما كنت لأحرم نفسي منها
بأي ثمن .

-- حسنًا يا أماء .

-- ريموند !

-- نعم يا أماء .

-- أحضر لي ورقة كتابة من طاولة الكتابة التي في قاعة المكتبة .

ومضى ريموند مطيعاً ، وراحت نادين ترقب المرأة المعجوز وهي تتأمل
ريموند بنظرات أفعوانية وابتسامة خبيثة . ومشى ريموند قرب ساره فرفعت
هذه رجها مشرقاً بالأمل لكن الأمل انطفأ فجاء حين مضى في طريقه حيث
تناول بضع أوراق بيضاء وعاد بها إلى زوجة أبيه وقد شحب وجهه وتصبب
العرق على جبينه .

فتنهدت المعجوز بارتياح وهي تتأمل وجه الشاب . وفجأة رأت نظرات

نادين مركزة عليها . فاستشاطت غضباً وقالت :
- لقد نسيت تناول نقط القلب ، هاتيها لي يا نادين .
- بكل تأكيد .
وعبرت نادين البهو إلى المصعد ، فشيعتها المسز بوتون بنظرات أفعوانية .
أما ويموند فقد ظل جالساً ووجهه ينطق باليأس العميق
وصعدت نادين إلى الطابق العلوي ، فحشت في الممر وعبرت غرفة الجلوس
في جناح الأسرة ، قرأت لينوكس جالساً في صمت يجوار النافذة ، وقد
فتح كتاباً لا يقرأ فيه .
ولما شاهد نادين قال متنبهاً من شرود أفكاره :
- آه ، نادين ؟
- لقد جئت لأحضر فقط القلب لوالدتك ؛ إنها نسيتها .
ودخلت غرفة نوم المسز بوتون ، وهناك وضعت في نصف كوب ماء
عدد النقاط المطلوبة تماماً من قنينة صغيرة ، ولما عادت إلى غرفة الجلوس ،
توقفت وقالت :
- لينوكس !
ومرت برهة قبل أن يجيب ، وكان نبرات صوتها كانت تأتي إليه
من بعيد .
فوضعت نادين الكوب بعناية على منضدة قريبة ، ثم وقفت يجوار زوجها
وقالت له :
- لينوكس ! أنظر إلى ضوء الشمس .. هناك ، خارج النافذة ، أنظر
إلى الحياة ! اليس جميلة ؟ في مقدورنا أن نستمتع بها بدلاً من بقائنا في
هذا المكان .
فقال ببلادة :
- إني آسف ، هل تريدان أن نخرج لنتمشى قليلاً ؟

فقال بسرعة

- نعم ، أريد ان أخرج معك لنتمشى في الحياة .. لنعيش حياتنا سعيدين ،
في أي مكان .

فانكش في مقعده ، وبدت في عينيه نظرات الطائر الذي وقع في
الشبكة ، ثم قل :

- نادين ، يا عزيزتي ، هل يجب ان نعود إلى الحديث في هذا الأمر
مرة أخرى ؟

- نعم يجب ، يجب ان نغضي لنعيش حياتنا في مكان ما .

- كيف يمكن هذا ونحن بلا مال ؟

- يمكننا ان نكسب ما نحتاجه من مال .

- كيف يمكننا هذا . ماذا أستطيع أن أفعل ؟ إني لا أحسن القيام
بعمل لكسب المال ، إني بلا مؤهلات ، وهناك آلاف من الشبان والرجال
المؤهلين للعمل لا يجدون أعمالاً ، فكيف أستطيع انا !

- سوف أكسب ما نحتاج اليه كلانا .

- يا طفلي المزينة ، انك لم تظفري بشهادتك في التمريض ، إن هذا هو
المستحيل ، ليس أمامنا أي أمل .

- لا ، إن حياتنا هذه هي المستحيلة ، هي التي لا أمل فيها .

- انك لا تعرفين ماذا تقولين . إن أمننا تعاملنا بكرم إياها تحيطنا
بكل ألوان الترف

- إلا الحرية .. لينوكس ، يجب ان نحاول .: تعامل معي اليوم ..
الآن ..

- نادين ، هل جئنت ؟

- لا ، إني عاقلة . عاقلة تماماً . اني أريد الحياة ، اريد ان أنعم بالحرية
ممعك في ضوء الشمس مع الناس وليس في ظل هذه الطاغية التي تستمد

سعادتهما من شقائنا. اصغ إلى يا لينوكس اني أحبك وان بيني وبين زوجة ابيك معركة حياة او موت . فهل ستقف بجانب أمي بجانبها ؟

- بجانبك طبعاً .

... إذن افعل ما أطبه منك .

. هذا مستحيل .

... لا ا ليس مستحيلاً يا لينوكس؛ إننا لم نعد أطفالاً بل في إمكاننا الآن ان ننجب أطفالاً .

- إن أمي تريد هذا .. وقد تمنته كثيراً .

- اني اعرف ؛ ولكني لن أنجب أطفالاً ليمشوا معنا في هذا السجن .

إن املك تستطيع ان تؤثر عليك لكنها لا تستطيع هذا معي .

فهمم لينوكس قائلاً :

- انك تثيرين غضبها أحياناً وليس هذا من الحكمة في شيء .

- إنها تغضب حين قتبين عجزها عن السيطرة على افكاري .

وبعد برهة صمت قالت :

- هل ترفض إذن ان تخرج معي من هذا السجن الى الحياة . حسناً اني

لن أرغمك . ولكني حرة في الخروج منه ، وأعتقد ان هذا ما سوف أفعله .

فحملت فيها مبهوتاً وتمت قائلاً في تلثم :

- لكن ؛ لكن أمي ان توافق على هذا .

- انها لا تستطيع ان تمنعني .

- ومن أين لك المال ؟

- سوف اقترضه او استجده او أسرقه .. وعليك ان تفهم يا لينوكس

انه ليس لأملك أي سلطان علي . اني أستطيع ان أمضي او ابقى حسب رغبتني وقد بدأت أشعر اني لم اعد اطبق البقاء هنا اكثر من هذا .

- نادين ! لا تتركيني ارجوك ؛ لا تتركيني .
وعاد يكرر ذلك حين رآها تنظر اليه مفكره دون ان يعبر وجهها
عن شيء .

وكان مله وفاء كطفل خائف ؛ واشاحت بوجهها حتى لا يرى الألم العميق
الذي ارتسم في عينيها .

فركمت هي بجانبه قائلة :

- اذن تعال معي .. تعال معي ! انك تستطيع . نعم انك تستطيع
لو أردت .

لكنه تراجع عنها بعيداً وتمتم قائلاً :

- لا أستطيع ليست لي الشجاعة على مواجهة الحياة .

عندما دخل الدكتور جيارر مكتب كاسل للسياحة وجد ساره كنز واقفة هناك .

وقد بادرت قائلة بعد أن ألقت عليه تحية الصباح :

- اني أتفق مع مدير المكتب على رحلة إلى مدينة بتر الأثرية وقد بلغني انك ذاهب اليها ايضاً .

- نعم لقد وجدت ان في مقدوري الذهاب اليها .

- اني سعيدة بهذا .

- ترى هل ستكون جماعة كبيرة العدد ؟

- يقولون ان هناك امرأتين اخريين . وانت وانا والمرشد السياحي في عربة واحدة .

فانحنى جيارر وقال :

- اني سعيد بهذا ايضاً .

ثم التفت الى مدير المكتب وأتم إجراءات القيام بالرحلة

وبعد قليل عاد فانضم إلى ساره وهو يمسك بهريده الخاص . وغادر المكتب الى الخارج حيث كان الجو صافياً والهواء منعشاً وان كان على شيء من البرودة .

وسألها جيران قائلاً :

— ماذا ورايك من انباء عن اصحابنا آل بونتون ! لقد امضيت هذه الأيام الثلاثة الأخيرة في رحلة الى بيت لحم والناصرة وغيرهما من الأماكن التاريخية .

فراحت ساره تسرد عليه مجهوداتها الفاشلة لتوطيد علاقتها ببعض افراد عائلة بونتون .

ثم اختتمت حديثها قائلة :

— ولكنني فشلت في محاولاتي على أية حال وسوف يرحلون عن الفندق اليوم .

— الى أين ؟

.. لا اعرف .

ثم اردفت قائلة باستياء :

— اني اشعر بحماقتي في تصرفاتي مع هذه الاسرة !

— لماذا ؟

— ان محاولة التدخل في شؤون الغير حماقة كبرى !

فهمز جيران كتفيه وقال :

.. العبء بالهدف من هذا التدخل . اذا كان الهدف خيراً ، فلا بأس !

واعتقد انك اردت التدخل في شؤون هذه الاسرة بدافع من العطف على بعض افرادها البؤساء !

— ولكنني لم انجح في شيء !

— وماذا لو انك واصلت مجهوداتك ؟

— هل تعتقد ان هناك املاً لي في مساعدته ريموند ؟

— نعم !

فتنهت ساره وقالت :
- كان يجب ان اواصل المحاولة ، لكن الوقت قد فات ا

* * *

كان هو الفندق مسرحا لنشاط كبير بسبب استعداد عدد من النزلاء للقيام
ببعض الرحلات الى الأماكن الأثرية ا

وامام باب الفندق الكبير كان ثمة عدد من السيارات المحملة بالأمثلة
تتأهب للانطلاق ، وكان لينوكس بونتون وزوجته نادين والمستر كوب واقفين
امام سياره فارغة يشرفون على اعدادها للرحيل .

وفي البهو رأت ساره مسز بونتون جالسة في مقعد ، وملتفة بمعطف
كبير في انتظار البدء بالرحيل .
وشعرت باشمزاز غريب وهي تنظر الى تلك المرأة التي بدت لها كرمز
للشر والقسوة .

وفجأة أحست بالمعطف عليها .. لقد تذكرت أن هذه المرأة ولدت
هكذا ، وان الميل الشديد إلى السيطرة والاستبداد نشأ معها منذ طفولتها
وان على الانسان ان يلتمس لها بعض العذر ، وان يشفق عليها ويحاول ان
يفهم ظروفها .

ولو ان أبناءها ، أو أبناء زوجها على الأصح ، نظروا اليها بعين ساره
في تلك اللحظة ، لأشفقوا عليها ورثوا لحالها ، لأن ساره كانت تراها من
زاوية جديدة ، من زاوية جعلت المرأة في نظرها ، مخلوقة تستحق
المعطف والرقاء .. مخلوقة حمقاء ، شريرة بطبيعتها ، عجوزاً سيئة
الصحة .

فتقدمت ساره نحوها بجرأة وقالت لها :
- طاب يودك يا مسز بونتون ، ارجو ان تكوني قد استمتعت برحلة
جميلة .

والقت العجوز عليها نظرات امتزج فيها الشر مع الغضب المكبوت ، ثم
أشاحت بوجهها دون ان تجيب
وهنا قالت ساره :

- انك تعامليني بخشونة لا مبرر لها يا مسز بونتون .
وقالت لنفسها :

- ما هذه المحافة يا ساره ، ما لك ولهذا العجوز الغريبة عنك !

وهنا استطردت قائلة للعجوز :

- انك تحاولين ان تمنعيني من صداقة ريموند وكارول ، ألا تدركين أن
هذه محاولة صبيانية حمقاء ؟ انك تريدان ان تجعلي من نفسك صنما يعبد ،
لكنك في الواقع مخلوقة تستحق الرثاء والشفقة ، ولو كنت مكانك لتخلعت
عن كل هذه الحركات المسرحية ، ولا شك انك ستزدادين كراهية لي بسبب
هذه الصراخ ، لكني لست فادمة لأني ارجو ان تعيدي النظر في تصرفاتك
وتحاولي ان تسعدي نفسك بإسعاد الناس حولك .

وتوقفت ساره عن الحديث برهة ، وكانت المسز بونتون قد تجمدت في
مقعدتها ، وبذلت محاولات حمة لتقول شيئاً لكن لسانها ظل يلحق شفقتها
الجافتين دون ان تتمكن من قول كلمة بصوت مسموع .

وعادت ساره بهول في تحد

- تكلمي اقولى ما شئت ، إني لن أهتم بما ستوجهينه إلي من عبارات
قاسية . لكن لا تنسي أن تفكري دائماً فيما قلت لك ، حاولي ان تسعدي
سماعتك من إسعاد الذين حولك .

وأخيراً خرجت الكلمات من شفتي العجوز في صوت خافت متعشرج نافذ

وكانت نظراتها وهي تتكلم غير مركزة على وجه ساره ، وإنما إلى شيء خلفها
وكأنها كانت تتحدث إلى شبح :
— إني لا أنسى أبداً ! تذكرى هذا ! إني لا أنسى شيئاً أبداً ، لا أنسى
تصرفاً ، ولا اسماً ، ولا وجهاً !

ولم تكن الكلمات نفسها تعبر عن شيء معين ، ولكن الصوت كان رهيباً
مفزعاً .. وكانت الضحكة الجوفاء التي أعقبته أشد رهبة وإفزاعاً مما جعل
ساره تتراجع خطوة .

ثم تقول وهي تهز كتفها :
- يا لك من مخلوقة عجوز بائسة !

واستدارت عنها إلى المصعد ، وفيما هي تتجه إليه ، إذا بها تسكاد
تصطدم ريموند ، وإذا هي تقرر بغتة أن تتحدث إليه .
فقالت باسمة :

— طاب صباحك ، أرجو أن تكون قد نعمت بإقامتك هنا ، ولعلنا
نلتقي ثانية ذات يوم .

ثم مرت بجانبه في سرعة ، وتسمر ريموند في مكانه ، وقد استغرق
تماماً في أفكاره بحيث لم يستطع أن يفسح الطريق للرجل القصير الأصغر
ذي الشارب الكبير ، الذي كان يحاول الخروج من المصعد في تلك اللحظة
أكثر من مرة .

فقال الرجل القصير لريموند :
— عن إذنك .

فتراجع ريموند وقد أفاق بغتة وقال :

— عذراً ؛ قد كنت مشغول الفكر .

فأقبلت كارول عليه وقالت له :

— ريموند . إذهب وعد يميني .. لقد صعدت إلى غرفتها ، ولم

تعد بعد ا

- حسنا ، سوف أخبرها بأننا على وشك الرحيل .

وتقدم ريموند إلى المصعد

فوقف الرجل القصير الأصلح هيركيول بوارو ينظر اليه برهة وقد رفع حاجبيه .

ومال قليلا برأسه كأنما ينصت إلى شيء .

وأخيراً أوما برأسه كأنما رضي عن شيء ما .

ثم مضى إلى البهو ، ونظر بامعان إلى كارول ، التي انضمت إلى زوجته أبيها .

وأشار بوارو إلى احد خدم الفندق ، ثم سأله وهو يرمي برأسه إلى المسز بونتون وكارول :

- هل يمكن ان تخبرني باسم هذه السيدة الجالسة هناك ؟

- إنها المسز بونتو وأسرتها ، أمريكيون .

- شكراً .

وفي الطابق الثالث ، وبينما كان الدكتور جيرار متجها نحو غرفته ، رأى ريموند وجنيفرا في طريقهما إلى باب المصعد للمبوط . وعند الباب ، قالت جنيفرا لريموند :

- انتظري هنا لحظة يا ريموند

ثم أسرع راجعة ولحقت بالدكتور جيرار عند منعطف الممر الطويل فأمسكت بذراعه وقالت في لهفة وخوف :

- انهم سيأخذوني بعيداً ، وقد يقتلوني ، اني لست واحدة منهم ان اسمي ليس بونتون .

ثم اردفت قائلة بسرعة بالغة :

- سوف أفضي إليك بسر خطير ، اني من عائلة مالكة ، وارثة لعرش

دولة كبيرة ، ولهذا فإن الأعداء يحيطون بي من كل جانب . انهم يحاولون قتلني بالسم ، أيمن ان تساعدني .
وابتعدت عنه حين سمعت وقع أقدام ريموند ثم صوته وهو يقول :
- جيفي ..
فمنظرت في لهفة وتوسل الى جيرار ثم قالت لأخيها :
- اني آتية حالا يا ريموند ..
ولما انصرفت رفع الدكتور جيرار حاجبيه ، وهز رأسه وقد خامره احساس بالأسف الشديد .

كان ذلك الصباح هو الموعد المحدد لبدء الرحلة الى مدينة بترا ، وقد رأت سارة ، حين هبطت لتستقل العربة المأجورة المجهزة للرحلة ، سيدة في منتصف العمر كبيرة الأنف ، سبق ان لحتها في الفندق . وكانت السيدة تمترض على حجب العربة المأجورة ، وتقول للمندوب المكتب السياحي بلمهجة احتجاج :

.. ان هذه السيارة لا توفر لنا الراحة اللازمة لرحلة طويلة ولهذا أصر على ان نستبدل بها عربة واسعة مريحة .
ولما استدارت ورأت ساره قالت لها :

. آه !. مس ساره كنج .. انك زميلتنا في الرحلة بهذه السيارة .
ما رأيك ؟ اليس اصغر من ان توفر لنا الراحة المطلوبة ؟ اني الليدي وستولم ..
فقال ساره بحذر :

.. اعتقد انك على حق يا ليدي وستولم .

ولم يسمع المندوب الشاب ، لمكتب السياحة ، الا ان يقبل في النهاية احضار سياره مأجورة ، أكبر حجما من تلك التي اعترضت عليها الليدي وستولم ..

وكانت هذه السيدة ، الليدي وستول ، شخصية معروفة في الوسط
السيامي بالجلترا . وكان زوجها اللورد وستول قد تزوجها أثناء عودته
بالباخرة من رحلته الى امريكا .

ولما كان هو بطبيعته رادعا مسالما ، يهوى الصيد بكل الواعه ، فقد
قررت هي ان تحمل محله في مجلس اللوردات ، وان تفتحهم الميدان السياسي ارضاء
لنزعتها في الميل الى الجدل والمناقشة والاشراك في المناورات السياسية التي
تسقط وزاره وتقيم اخرى .

ولما أقبل الدكتور جيجار ، قدمته ساره الى الليدي وستول التي قالت
له وهي تصافحه بجراره :

— ان اسمك ليس غريبا عني ، لقد كنت أتكلم مع البروفسور شانتو
في باريس في الشهر الماضي ، وقد تحدثنا عن بحوثك في علم النفس ، ونحن
نتبادل الرأي فيما ينبغي ان نفعله الحكومات المتحضرة من أجل المرضى
بالأمراض العقلية والنفسية .. هل ندخل الى البهو ، لننتظر السيارة
الأخرى ؟

وأقبلت في تلك اللحظة الراكبة الرابعة ، المس اميلي بيرس . وكانت
آنسة في منتصف العمر وديعة الخلق متوسطة الجمال ، مترددة في احاديثها .
وقد عرفت ساره ، فيما بعد انها كانت مربية اطفال ولما ورثت من
عها الراحل ثروه صغيره .. انتهزت أول فرصة للقيام برحلة خارج
الجلترا .

فقالت الليدي وستول حين جلس الركاب الأربعة في بهو الفندق :

... انك طيبة يا مس كنج اليس كذلك ؟

- نعم تخرجت هذا العام .

- آه ، اننا ، معشر النساء ، نفزو الآن جميع المجالات ،
ولست أشك في ان آمال البشرية ، في السلام والرخاء ، سوف تتحقق

على أيدينا .

ووصلت السيارة الكبيره ومعه المرشد المرافق ، فانطلقت بهم في رحلتها الطويلة . وعند الظهر توقفت في استراحة على ضفة البحر الميت ، ليتناول الركاب الغداء ، ولما استؤنفت الرحلة ، شعرت سارة بالندم على القيام بها . فقد خامرها إحساس عميق بالضيق والملل وهي تسمع صوت الليدي وستول المرتقع ، وغممة المس امبل بيرس الخجول ، وقرقرة المرشد ، بل ضاقت بابتسامة الدكتور جيرار الذي كان يعرب بها عن فهمه لما يدور في نفسها .

وتساءلت في نفسها :

- أين ذهب آل بونتون ا لعلمهم ر-لوا إلى سوريا .. وربما وصلوا إلى بعلبك أو دمشق .. ويريموند ؟ ترى ماذا يفعل الآن ؟ إنها تتخيل وجهه بوضوح . وجهه الملهوف المتوتر الأعصاب .

آه ! لماذا تمن التفكير في أسيرة ربما ان تراها أو تلتقي بها ثانية في حياتها . وانها لتتذكر حديثها مع المسز بونتون .. لا شك ان هناك من سمعها ، فقد كانت الليدي وستول جالسة في البهو عند ذلك .

كانت هذه الأفكار تشغل ذهن ساره وهي جالسة في حديقة فندق بمدينة عمان في اليوم التالي من بدء الرحلة . وقد قطع عليها أفكارها هذه الدكتور جيرار حين جاء من الخارج وجلس يجوارها قائلاً وهو يسمح بمزيد العرق عن وجهه :

- بالله ! إن هذه المرأة يجب ان تموت مسممة ..

- من ؟ . المسز بونتون ؟ .

- لا ! أعني الليدي وستول . إني لا أعلم كيف استطاع زوجها ان يهتم لها كل هذه السنوات ؟
فضحكت ساره وقالت :

- .. إنه يقضي معظم وقته في الصيد والرياضة .
— لولا هذا لمات غملاً .
— لا شك أنه فخور بنشاط زوجته السياسي .
— بل قولي سعيد ، لأن هذا النشاط يشغلها عنه !

* * *

وفما كانت السيارة تقطع طريقاً صحراوياً تمتد الرمال والجبال على جانبيه
إلى مدى البصر ، قالت المس أمبل لساره :
إن الانسان ليرتفع لو رأى بعض الأشجار الظليلة هنا أو هناك ،
ولكنني أعتقد مع هذا أن هذا الفضاء الرحيب رائع في ذاته . اليس
كذلك يا مس كنج ؟
فأومأت سارة برأسها وقالت :
— نعم .. إن هذا الفضاء رائع فعلاً ..
ودارت تفكيرها حول الفضاء .. إنه يثير الإحساس بالسكينة والهدوء .
ليس فيه بشر يلاذون النفس بالضيق والاكتئاب ، ليس فيه مشاكل تابعة من
علاقات الانسان بغيره . إنها الآن تشعر بالخلص من أسر عائلة بونتون .
تشعر بالخلص من رغبة التدخل في شؤون أشخاص بعيدين عنها كل البعد .
وإن هذا الشعور ليملاً نفسها بالسكينة والرضى ، هنا وحدة وعزلة وفراغ
وفضاء ، هنا في الواقع سلام وصفاء

ووصلت السيارة بهم إلى قرية عين موسى حيث كان من المقرر ان
يتركوها ليستأنفوا الرحلة على ظهور الجياد ، فنظرت المس أمبل إلى هذه
الركائب في قلق لأنها لم تستعد لها بلباس الركوب . لكن الليدي وستولم

كانت تعرف سلفاً انها ستقطع الجزء الأخير من الرحلة على ظهر حصان ،
فاستعدت بملابس الركوب .

فاقتيدت الجياد بركابها عبر القرية إلى بحر صخري وعمر ، كانت
الأحجار تتساقط على جانبيه كلما مرت عليه الجياد بجوافرها . وكانت الشمس
قد مالَت تماماً عند خط المغيب ، ولكن الجو ظل حاراً خانقاً ، وكانت ساره
لا تزال تشمر بالتعب من جلوسها في السيارة ، حتى بلغت من فرط
شموورها بالإرهاق حد التخليد ، ومن ثم كان يخيل اليها انها تسير
في حلم .

وأضيت المصابيح ، وظلت الجياد في مسيرها ، وبغتة انتهى العمر إلى
وادي فسيح تراجعت عنده التلال والروابي ؛ وعلى مسافة غير بعيدة في الوادي
رأت مجموعة من الأضواء .

وقال المرشد :

— هذا هو المعسكر .

فأسرعت الجياد في خطوها .. وازدادت الأضواء اقتراباً ، وأصبح من
الممكن رؤية الخيام المتناثرة على ضفة نهر صغير كانت أضواء المعسكر تتراقص
على صفحة مائه

فاستطاعت ساره وهي تزداد قريباً من المعسكر أن ترى على الصخور
المرتفعة فوق المعسكر ، فتحات كهوف أحدثها سلطات المدينة لتكون غرضاً
للنوم لمن يكره من السياح أن ينام في الخيام

وسارع بعض العربان من عمال مكتب السياحة إلى استقبال الوافدين .
لكن ساره ظلت مثبته نظراتها على باب أحد الكهوف المرتفعة لأنها رأت فيه
شبهاً جالساً بلا حراك .

ترى ماذا يكون ؟ أهو صنم ، أم تمثال أروي منحوت أمام باب
ذلك الكهف ؟

لا .. إن انعكاس الضوء عليه جعله يبدو ضخماً رهيب المنظر ..
إنه ولا شك مجرد تمثال من الحجر ، يطل على المعسكر في رهبة
وصمت ..

وبغثة خفق قلبها بعنف حين تبينت حقيقة ذلك التمثال ، إنه لم يكن
تمثالاً من حجر وإنما من لحم ودم ، إنه لم يكن غير تلك المرأة المعجوز البدينة
المسز بونتون .

وشعرت ساره باحساس الأسير الذي خيل إليه أنه ظفر بحريته ، بينما لم
يكن في الواقع إلا عائداً إلى الأسر .

إن المسز بوتون هناك .. في بترا .
فراحت ساره تجيب ، آلياً عن الأسئلة التي وجهها مندوب مكتب
السياحة في المدينة هل تريد أن تتناول العشاء فوراً ؟ هل تحب أن تفتسل
أولاً ؟ هل تفضل النوم في خيمة أو في كهف ؟

فأجابت عن السؤال الأخير بسرعة :

- في خيمة !

لأن مشاهدتها لتلك المعجوز الرهيبة وهي جالسة أمام باب كهف جعلها
تنفر من مجرد النوم في واحد منها .

فقالت لنفسها :

« إن شيئاً ما في هذه المرأة يجعلها تبدو غير آدمية » .
وأخيراً تبعت أحد العمال العرب ، وكان يرتدي بنطلوناً خاكي اللون ،
وسرة خاكية وعلى رأسه عقال ، فأعجبت ساره بالحفة التي يسير بها العامل
العربي مع رفع رأسه عالياً في كبرياء وثقة بالنفس .

فأحست ، حين دخلت خيمتها ، أنها بلغت من التعب حداً كبيراً ، لكن
الماء الساخن الذي اغتسلت به ، خفف من شعورها بالتعب وأعاد إليها ثقتها
بنفسها مما جعلها تحبجل من فزعها حين رأت المسز بوتون .

ترك الحديقة ، وهبطت إلى حديقة الاستراحة الكبيرة حيث سمعت
خلفها صوتاً يقول بدهشة ولهفة :
- أنت هنا ؟

قلنا استدارت بسرعة ، رأت أمامها ريموند بونتون يكاد يخرج عن طوره
من فرط الدهشة المزوجة بالسعادة . كان كالإنسان المعذب الذي شاهد
بفتحة باب الجنة يفتح له . وإن ساره لم تنس في حياتها كلها ، بعد ذلك ،
هذه النظرة .
فصاح الشاب قائلاً مرة أخرى :
- أنت ؟

ونفذت نبرات الصوت السعيد الملهوف إلى أعماق نفسها ، وجعلت قلبها
يتراقص في صدرها ..
فقالت بصوت متهدج :
- نعم أنا .
وتقدم نحوها في ذهول الذي لا يصدق عينيه فتناول يدها بين يديه
بفتحة وقال :
- إنك أنت حقاً ؟ فقد خيل لي أنني أرى شبحك فقط . طيفك .

وصمت برهة قبل أن يردف قليلاً :
- إنني أحبك ، أحبك أنت تعرفين هذا ، أحببتك منذ شاهدتك أول
مرة في القطار . إنني أعرف هذا الآن ، وأحب أن تتأكدني منه حق تعلمي
أن تصرفاتي غير اللائقة لمحوك إنما كان لها سبب خارج عن إرادتي . بل
إنني قد أكرر هذه التصرفات هنا أيضاً ، قد أمر بك دون أن أحدثك أو
أرد على حديث لك وكأني لا أعرفك . إنها حين تطلب مني أن أفعل شيئاً ، فلا
بد أن أفعله ، إحتقريني إن شئت .
فقالت بصوت كله عذوبة :

- إني لا أحتقرك يا ريموند .
- ولكني رغم هذا إنسان ضعيف ، يجب .. يجب ان أنصرف كرجل ،
نعم ، هذا ما ينبغي ان أفعله .
- انك ستفعل هذا يا ريموند

فرد قائلاً في حزن :

- أحياناً ؟ ربما ؟

- ان الشجاعة لا تنقصك ، اني واثقة بهذا ..

وشد قامته ورفع رأسه عالياً ثم قال بصوت حازم :
- الشجاعة ! نعم ، ان هذا هو ما أحتاج اليه ، الشجاعة .
ثم انحنى وقبل يدها ، وبعد لحظة استدار وانصرف .

* * *

في حديقة الاستراحة شاهدت ساره زملاء السفر الثلاثة جالسين إلى
طاولة يأكلون ، وكان المرشد السياحي يقول لهم ان هناك في المنطقة جماعة
أخرى من السياح :

- جاءوا منذ يومين . وسيرحلون بعد غد .. انهم أسرة أمريكية ،
الأم بدينة جداً ، وقد تحملنا مشقة بالغة في حملها على مقعد ، الى
هذه المنطقة .

فقالت الليدي وستولم :

. لا شك انها تلك الأميرة الأمريكية التي شاهدتها في فندق الملك
سليمان . انني لا أنسى منظر الأم المعجوزة البدينة ، التي رأيتك تتحدثين
اليها يا مس كنج .

فاضطرم وجه ساره ، وخشيت ان تكون الليدي وستول سمعت طرفاً من ذلك الحديث الشاذ .

لكن الليدي استطردت تقول :

— انها أسرة عادية جداً .. ومتحفظة الى أقصى حد .

اجتمع الأربعة في السادسة من صباح اليوم التالي على طاولة الافطار . ولم يكن ثمة أمر لأسرة بونتون في ذلك الوقت . وبعد ان فرغوا من الطعام ، خرجوا معاً للفرجة على الأماكن الأثرية . وما كادوا يبتعدون عن المعسكر حتى سمعوا شخصاً يهتف بهم ويطلب منهم ان يسمحوا له بالانضمام اليهم . وكان ذلك الشخص الجديد هو المستر جيفرسون كوب ، الذي قال وهو يلهم :

— اذا لم يكن لديكم مانع ، فلاني أحب الانضمام اليكم . طاب صباحك يا مس كنج انها مفاجأة سارة ان أراك هنا يا دكتور جيرار ما رأيك في هذا المنظر ؟

وأشار الى الصخور الحمراء التي تتكون منها المدينة الأثرية . فردت ساره قائلة :

— ان منظرها رهيب ، فقد كنت أتخيلها دائماً على انها د المدينة الوردية ، لكن لونها يشبه لون اللحم البقري الأحمر .

ومشى السائحون بقيادة اثنين من الأدلاء العرب في المنطقة الأثرية الوعرة ، فراحوا يصعدون جبلاً من الصخور الحمراء عن طريق ممرات متعرجة شديدة الارتفاع حيناً منبسطة أحياناً .

وكانت المس امبل بيرس لا تكف عن الشكوى قائلة انها لا تستطيع النظر الى أسفل من مكان مرتفع .

وقال الدكتور جيرار الدليل محمرد :

— هل تجد مشقة دائماً في قيادة بعض السائحين الكبار سنماً ؟

فرد محمود بابتسامة هادئة :

- نعم .. ولكنهم يصرون دائماً على الصعود ، برغم ما ينالهم من الارهاق .

وتنهدت ساره في ارتياح عندما وصلوا جميعاً الى القمة ، وكانت المنطقة الصخرية الحمراء تمتد أمامهم وأسفلهم في جميع الاتجاهات . فقال لهم الدليل :

- هنا في هذا المكان نزل على سيدنا إبراهيم الكعبش الذي ضحى به بدلاً من التضحية بابنه اسماعيل .

وانفصلت ساره عن زملائها ، وتجولت بعيداً عنهم بعض الشيء ، وفيما هي واقفة فوق مرتفع ، مستغرقة في التفكير ، اذا بالدكتور جيران يقف بجوارها ويقول :

- ان هناك شيئاً هاماً يشغل بالك .

فرفعت اليه وجهها كله حيره وقالت :

- نعم ، انني أفكر في الموت أحياناً يكون حلاً لمشكلات كثيرة .. وان فكرة الفداء لها ما يبررها .. ان التضحية بشخص قد تكون ضرورية للحياة أشخاص كثيرين .

فهز الدكتور جيران رأسه وقال :

- اننا معشر الأطباء لا ننظر الى الموت الا من زاوية واحدة ، وهي زاوية المداء ، انه عدونا الأول .

وقبل ان ترد عليه ، وصل اليها المستر كوب الأمريكي ، وقال :

- ان هذه المنطقة رائعة فعلاً ، واني سعيد بمشاهدتها .. ان المسز بونتون مخلوقة ممتازة لأنها هي التي أصرت على الحضور لمشاهدتها جميعاً .. ولولا هذا لما حضرت .

واستطرد يقول مثرراً :

- انها سيدة طيبة القلب ، لكن صحتها ليست على ما يرام ، وهذا ما يجعلها تبدو غليظة الطبع أحيانا ، وان السفر معها يضاعف المشقة ولكنها تصر على ان تصحب أبناءها الى كل مكان ، انها من فرط رعايتها لهم لا تحب ان تتركهم بعيداً عن عينيها .

ثم عاد يقول :

- الا أنني سمعت شيئا عنها منذ مدة قريبة

وكانت ساره قد عادت الى الاستغراق في أفكارها وكان صوت المستر كوب يصل الى أذنيها كأنه خرير جدول بعيد

أما الدكتور جيرار فقد قال للمستر كوب :

- وما هذا الذي سمعت ؟

- حدثني سيدة قابلتها في فندق بمدينة طبرية ان خادمة كانت تعمل في قصر المسز بونتون ، ثم اكتشفت انها حامل . ولم تغضب المسز بونتون ، وانما تحايلت على الخادمة ، ثم طردها ، قبل ان تضع مولودها بشهر تقريبا .

ورفع الدكتور جيرار حاجبيه وقال :

- أهكذا .

- نعم .. ان السيدة التي أخبرتني بهذا واثقة بما تقول . وانني لأعتبر هذا التصرف غاية في القسوة . ولا أدري لماذا ؟

فقاطعه جيرار قائلا :

- المؤكد ان ما حدث أسعد المسز بونتون كل السعادة .

فحملق المستر كوب في وجهه مبهورا وقال :

- أترى هذا ؟ انني لا أظن . ان هذا التصرف ينطو على قسوة غير

انسانية إطلاقا ..

فقال الدكتور جيرار بهدوء :

- لقد قمت ببحوث عديدة ، عن العقل البشري ، انتهيت من هذه البحوث الى أن العقل البشري لا يعرف ، حالات معينة ، حدوداً للقسوة .

- أخشى ان تكون مبالغة يا دكتور جيرار ، آه ، إن الهدوء هنا رائع جداً ، وساره بعيدة عنه .

وعاد جيرار ينظر إلى ساره ، فرأها مستغرقة في التفكير ، مقبلة الجبين . وسمع المس أمبل بيرس تقترب منه قائلة :
- إننا في طريق العودة . أوه ! أخشى ان أعجز عن الهبوط ، لكن الدليل يؤكد لي اننا سنهبط من مرة آخر أقل المحذاراً .

ولكن المس بيرس استطاعت ، رغم مخاوفها ، أن تعود مع زملائها إلى المعسكر في موعد الغداء . وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد الظهر بقليل وكانت أسرة بونتون قد فرغت من طعامها واستعدت لترك الطاولة بمهذبة الاستراحة .

فقال الليدي وستولم الأسرة موجهة الحديث لكارول :

- إن الصباح اليوم كان جميلاً جداً وبترا مدينة رائعة .

ونظرت كارول إلى زوجة أبيها ثم غغمت قائلة :

- نعم . نعم . إنها حقاً كذلك .

وقالت المس أمبل بيرس :

- سوف أستريح بعد الغداء ، لأنني لن أستطيع القيام بمجهود كبير بعد ما

تحملة من عناء هذا الصباح .

فقال الليدي وستولم :

- ربما أفعل هذا أيضاً يا مس بيرس ، سوف أستريح لحو ساعة ثم أقوم

بجولة خفيفة لمدة ساعتين .

ونفضت المسز بونتون ببطء عن مecedها بمساعدة لينوكس ، ثم وقفت وقالت

لأفراد أسرتها :

- يحسن ان تقوموا جميعاً بجولة بعد ظهر اليوم لرؤية المنطقة .
- فارتسمت الدهشة على وجوه أفراد أسرتها وقال لينوكس في النهاية :
- وأنت يا أماء ، ماذا ستفعلن ؟
- إني أشعر بتعب وصداق ، ولهذا سأجلس وأتسلى بقراءة كتاب ، أما جيني فستأوي إلى فراشها لتنام .
- إني لست متعبة يا أماء ، إني أود الذهاب معهم .
- إنك متعبة وتمانين من صداق ويجب ان تحافظي على نفسك . إذهبي وتنامي إني أعلم ما ينبغي أن تفعليه .
- ولكنني .. ولكن ..

وحاولت الفتاة ان تتمرد ، لكنهن لم تلبث أن أحنت رأسها في استسلام وخضوع .

وقالت الأم :

- يا طفلي الحبيب ، إذهبي الى خيمتك .

ومضت الفتاة غاضبة تضرب الأرض بقدميها . فانصرف بقية الموجودين والمسز بيرس تقول :

- يا لهم من قوم غربيي الطباع . وتلك الأم . يا لاون وجهها العجيب ، إنها زرقاء اللون ، لعله القلب ، ولعل الحر يؤذيها .

وقالت سارة لنفسها :

- لقد تركتهم أحراراً الآن .. فهي تعلم ان ريموند يريد ان ينفرد بي .. فلماذا تتيح له هذه الفرصة ، هل تنصب له شركاً ؟

* * *

وفي نحو الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر عادت ساره إلى حديقة الاستراحة حيث رأت بقيمة زملائها جالسين : الليدي وستول تتحدث مع الدكتور جيرار ، ومس أمبل بين تقرأ في كتاب ، وتطلع الجميع إلى الجرف العالي حيث كانت مسز بونتون جالسة أمام مدخل كهفها ساكنة الحركة وكأنها تمثال بوذا ، ولم يكن هناك على مرمى البصر أحد من موظفي السياحة غيرها . إذ كانت الجميع في خيامهم .

وعلى مسافة أخرى ، كان ثمة جماعة يسرون مبتعدين ، وقد أشار اليهم جيرار ، وقال :
- للمرة الأولى تسمح الأم المطوف لأبنائها وبناتها ان يتمتعوا بالحرية بعيداً عنها .. لا شك انه فطور جديد في تصرفها .
فقالت سارة :

... أتعلم ان هذا هو نفس ما كنت أفكر فيه .

- يا لنا من أناس مرتابين ؟ هل ننضم اليهم ؟
وسرعان ما لحقوا بأفراد عائلة بونتون ، وكانت السمادة لأول مرة ، تلاً صفحات وجوهم .

كان لينر كس ونادين وكارول وريوند والمستر كوب يضحكون ويتحدثون في مرح لم يلبث ان شاركهم فيه جيرار وساره عند انضمامهما اليهم .

كان كل منهم يحاول ان يستمتع بقدر الإمكان بهذه اللحظات السعيدة النادرة . وقد مشت ساره مع لينوكس وكارول في المقدمة ، فراح ريوند يتحدث مع الدكتور جيرار خلفهما وفي النهاية مشت نادين مع الماستر كوب يتبادلان الأحاديث .

وبغثة سمعت ساره الدكتور جيرار ، يقول بصوت خافت متوجع وهو يتوقف :

- معذرة ، يجب ان أعود للمعسكر

فرنت اليه ساره قائلة :

-- هل ألم بك شيء يا دكتور جبرار ؟

- نعم .. الحصى . لقد كنت أشعر بها تسري في دمى ، منذ ساعة الغداء .

وفحصته ساره بنظراتها وقالت :

-- ملاريا ؟

- نعم ، سأعود لحيمى لأسكن نفسى بمقار الكينين . أرجو ان تكون هذه النبوة عنيفة فقد أصبت بها أثناء زيارتي للكونغو

- هل آتى معك ؟

- لا لا .. إن معى حقيبة أدوائى وعقاقيرى ، انى لا اريد حرمانك من متعة هذه الرياضة الآن .

وعاد مسرعاً فى الطريق للمعسكر .

ونظرت ساره اليه برهة ، ثم التفت عيناها بعينى ريموند ، فابتسمت له . وما لبثت أن نسيت كل شيء عن جبرار .

فاستمر الجميع معاً برهة قصيرة لينوكس وفادين ، كارول وساره ، وريموند والمستر كوب . لكن ساره على نحو ما ، استطاعت ان تنفصل مع ريموند عنهم جميعاً فمشى معه حتى وصلا الى أقرب بقعة ظليلة حيث جالسا يستريحان .

وقال ريموند بعد برهة صمت :

- أنتصوين انى لأعرف اسمك حق الآن ؟ أعنى اسمك الذاتى ،

يا مس كنج .

- ساره ، ساره كنج .

- هل يمكن مناداك بساره فقط ؟

- طبعاً ، طبعاً .

- ساره .. هل يمكن ان تحدثيني عن نفسك ؟
فاعتمدت بظهرها الى صخره ، ثم باشرت بالحديث عن حياتها في يوركشير
وعن كلابها وعن هواياتها وعن عمته التي قامت على تربيتها .
وبعد ذلك زاح ريموند يحدثها ، بكلمات متقطعة ، عن حياته البائسة
مع زوجة أبيه .
فأعقب هذا صمت طويل تماسكت خلاله أيديها ، وجلسا وكأنهما طفلان
صغيران ، هائشان بصعوبة أحدهما الآخر ..

ولما بدأت الشمس تنحدر نحو المغيب ، تحرك الشاب وقال :
- لسوف أعود الآن .. لا .. ليس معك ؛ سوف أعود بمفردي ان
لدي عملا يجب ان اقوم به . فإذا قلت به ، فسأثبت لنفسي اني لست جباناً ؛
وفي هذه الحالة لن أخجل من التقدم اليك لطلب يدك والتمس مساعدتك ؛
لأنني سأكون في حاجة الى المساعدة .. وربما احتساج الى اقتراض
بعض المال .

فابتسمت ساره قائلة :

- يسعدني انك واقعي في تفكيرك . ويمكنك ان تعتمد علي .
- لكن يجب أولاً القيام بهذا العمل بمفردي .
- أى عمل ؟

- فارتسمت علامات الحزم على وجه الشاب وهو يقول :
- اثبات شجاعتي .. فإما أن أفعل هذا الآن .. أو أبقي عبداً
للأبد .

ثم وثب واقفاً فاستدار ومضى مسرعاً نحو المعسكر .

وتراخت ساره الى الصخره وراحت ترقبه وهو يبتعد بخطى تنم عن
العزيمة والإصرار .
وشعرت بالجزع وهي تتذكر كلماته . فقد شعرت ان فيها تصميم

الانسان الذي ينوي أن يقوم بعمل طائش أو متهور وتمنت لو أنها ذهبت معه .

ولكنها قررت البقاء ان ريموند شاء أن يقوم بعمله بمفرده ليختبر مدى شجاعته .

وتمنت بكل جوارحها ألا تأخذله شجاعته في اللحظة الأخيرة .

كانت الشمس في أفق المغرب حين أشرفت ساره على المعسكر عند عودتها . وفي ضوء الغروب الخافت رأت مسز بونتون لا تزال جالسة في مقعدها أمام كهفها فارتجفت ساره قليلا وهي ترى ذلك الجسم البدين الرابض كتمثال رهيب يرمز للشر والقسوة .

فأسرعت تمشي في الممر السفلي ووصلت الى حديقة الاستراحة حيث رأت الليدي وستولم تعمل في أشغال الابرّة والمس أمبل بيرس مشغولة بقطعة تطريز وعمال المكتب السياحي يروحون ويحيئون لاعداد طعام العشاء . أما آل بونتون فكانوا جالسين في الطرف الآخر من الحديقة يقرأون .

ودخلت ساره خيمتها فاغتسلت . وعند عودتها وقفت أمام خيمة الدكتور جيران ونادت عليها بصوت خافت فلما لم تسمع اجابة رفعت حافة الخيمة ودخلت فرأته نائماً بلا حراك فانسحبت بسرعة وهي ترجو ان يكون مستغرقاً في النوم .

فأقبل نحوها احد العمال العرب وقال ان العشاء معد . ولما وصلت الى الطاولة كان الجميع حولها فيما عدا الدكتور جيران ومسز بونتون وكانت احد العمال قد أرسل للمحور ليخبرها بأن العشاء معد .

وبغلة حدثت ضجة فأسرع خلالها اثنان من العرب الى الدليل محمود فاضطرب هذا بشده وأسرع في طريقه الى مسز بونتون . . فرأت ساره ان تلحق به . . وتسأله :

— ماذا حدث ؟

— يقول عبده ان السيدة لا تتحرك .

— سأتي معك لأرى ماذا حدث ؟

فأسرعت ساره الى مسز بونتون وامسكت يدها ثم انحنى عليها ثم اعتدلت

وقد شجب وجهها .

ولما عادت الى الجالسين حول الطاولة قالت بصوت مرتجف موجهة الكلام

الى لينوكس :

— يؤسفني ان اقول لك . . ان امكم مائت . .

وتلقى افراد الأسرة النبأ في ذهول من لا يصدق اذفيه . . وبفتنة اخذوا

يتنهدون وكأنهم لم يتلقوا نبأ بل بشرى .

رفع الكولونيل كاربري حاكم دار مدينة عمان كأسه وقال لضييفه الجالس امامه عبر الطاولة .

- في صحة الجريمة .

فابنسم يوارو وقال وهو يرفع كأسه :

- وفي صحة الذين يكافحونها .

وبعد ان حدث كاربري يوارو عما حدث المسز بونتون في بترا ، وعن نقل -جنتها إلى عمان ، وعن احتمال كون الوفاة ناشئة عن مشقة الرحلة وحرارة الجو مع إصابتها بمرض القلب :

ثم تابع يقول :

- لكنني أشك بأفراد أسرتها . فقد علمت من مختلف المصادر انها كانت تماملهم بقسرة .. أعني كانت تسيطر عليهم سيطرة السجنان على المسجونين . ولهذا فإن هناك احتمالاً كبيراً في أن أحد هؤلاء الأفراد أو جميعهم اشتركوا في القضاء عليها .

فقال يوارو بهدوء :

- ألم يكن في بترا عندئذ أحد الأطباء ؟

- كان هناك إثنان .. طبيب أمراض عصبية مشهور هو الدكتور

جيرار وطبيبة حديثة التخرج هي مس كنج، لكن الدكتور جيرار كان مريضاً
بنوبة ملاريا عند وفاة مسز بونتون .

— تقول ان الضحية كانت مريضة .

— نعم بالقلب . . وكانت لتناول نقط القلب بانتظام .

— إذن ما الذي جعلك تشك في أن موتها ليس طبيعياً ؟

— إنه الدكتور جيرار . . ويحسن ان أستدعيه ، لتسمع أقواله ،

بنفسك .

وبعد ان أرسل الكولونيل أحد جنوده لاستدعاء الدكتور جيرار قال له
هيركيول بوارو :

— كم عدد أفراد هذه الأسرة

— إنها أسرة بونتون ، الأم المتوفاة ، وابنان أحدهما متزوج وزوجته وهي

شابة لطيفة جميلة ، وابنتان . الصغرى منها متوترة الأعصاب جداً ، ربما
من الصدمة .

ورفع بوارو حاجبيه وقال :

— بونتون . . بونتون ؟ هذا عجيب ، عجيب جداً .

ودخل الدكتور جيرار .

فقدمه الكولونيل كاربري الى بوارو قائلاً :

— هذا هو المسيو هيركيول بوارو . . جاء إلى عمان لمهمة خاصة وكنت

أحدث معه عن حادثة مدينة بترا

وبعد ان تناولوا الأحاديث عن موضوع الحادثة وارتباب الكولونيل

كاربري في انها غير طبيعية .

فقال للدكتور جيرار :

— أحب ان أخبر المسيو بوارو بما أخبرني به يا دكتور جيرار في

هذا الشأن .

— إن الخطأ في جانبي .. وقد أكون واحداً في استنتاجي .. لكنني مضطر لأن أذكر ما لاحظت .

كنت أعاني من نوبة ملاريا في ذلك الوقت ، فلما عدت إلى خيمتي بحثت عن الحقن طويلاً فلم أجده ، وأخيراً اضطررت إلى تناول كمية من حبوب الكينين .

وبعد برهة صمت تابع الدكتور جيرار يقول :

— لقد اكتشفت موت مسز بونتون بعد غروب الشمس بقليل ، وقد رجع هذا لطريقتها في الجاوس ، فقد ماتت وهي جالسة ، فلم يكتشف أحد موتها إلا حين ذهب أحد العمال ليخبرها بأن طعام العشاء معد وكان ذلك الساعة السادسة والنصف .

وبعد أن وصف موضع الكهف وحديقة الاستراحة تابع يقول :

— وقد فحصت مس كنج ، الطبيبة المؤهلة اللجنة وتأكدت من الوفاة ، ولكنها لم تشأ أن توقظني من النوم لعلها بحالتي ولم يكن هناك ما يمكن فعله بعد التأكد من موت مسز بونتون .

فقال بوارو :

— كم من الوقت كان قد مضى على وفاتها عند اكتشاف الأمر ؟

— ان مس كنج لم تهتم كثيراً بتحديد الوقت باعتبار أنه امر ليس له أهمية خاصة .

— اذن متى كانت مسز بونتون حية آخر مرة ؟

فنظر الكولونيل كاربري في ملف أمامه ، ثم قال بحبيبا عن هذا

السؤال :

— لقد تحدثت الليدي وستولم ومس أمبل بيرس مع مسز بونتون في نحو الساعة الرابعة والنصف ، وبعد نحو خمس دقائق ، تحدثت معها مسز لينوكس حديثاً طويلاً .

وتبادلت كارول حديثاً عابراً مع زوجة أبيها ، في وقت لم تستطع ان تحدده ، ولكنه كان ، بأقوال الشهود ، يقترب من الخامسة وعشر دقائق وقابع الكولونيل كاربري قراءته من الملف قائلا :

- وفي حين عاد مستر جيفرسون كوب ، صديق العائلة ، مع الليدي وستولم ومس بيرس الى المعسكر بعد جولتها ، رأى مسز بونتون من بعيد قائمة ، فلم يشأ ان يزعمها . وكان ذلك في نحو الساعة السادسة الا ثلثاً . وبلوح ان الشاب ريموند الابن الأصغر كان آخر من تحدث الى مسز بونتون وهي حية ، اذ تحدث معها بعد عودته من جولته المسائية ، وكان ذلك في نحو السادسة الا عشر دقائق ، وقد اكتشفت الوفاة في السادسة والنصف حين ذهب احد عمال المكتب السياحي ليخبرها بأن العشاء معد .

فسأله بوارو قائلا :

... ألم يقترب منها احد اطلاقاً ، بعد انصراف ريموند عنها حتى لحظة اكتشاف وفاتها ؟

- لا .

- معنى هذا ، ان ريموند كان آخر شخص تحدث اليها ، وهي على قيد الحياة .

وتبادل الكولونيل النظرات مع الدكتور جيرار ثم قال له :

- استمر في حديثك يا دكتور جيرار .

- ان مس كنج لم تجد أهمية لتحديد وقت الوفاة ، وإنما اكتفت بقولها انها توفيت منذ « مدة وجيزة » ولكن عندما حاولت افا ، عرضاً ، ان احدد وقت وفاتها علمياً وقلت في حديثي ان ريموند كان آخر من حدثها وهي حية ، وكان ذلك في السادسة الا عشر دقائق ، قالت مس كنج بحماس ان هذا لا يمكن ، لأن مسز بونتون كانت ميتة قطعاً قبل السادسة

الا عشر دقائق .

فرجع بوارو حاجبيه وقال :

- عجيب .. هذا عجيب جداً . وماذا قال ريموند ، في هذا

الشأن ؟

فرد الكولونيل كاربري :

- انه أفسم بأن زوجة أبيه كانت على قيد الحياة حين تحدث اليها .

قال انه ذهب اليها واخبرها انه عاد من جولته ، او شيء من هذا

القبيل ، وانها تتمت بكلمات قليلة مثل « حسناً . حسناً » ثم عاد

الى خيمته .

فقطب بوارو جبينه وقال :

. عجيب . عجيب جداً .. وهل كان الجو مظلماً بعض الشيء

عندئذ ؟؟

- كانت الشمس قد غربت في تلك اللحظات

- عجيب جداً ، وانت يا دكتور جيرار ، متى شاهدت الجثة ؟

- في صباح اليوم التالي ، في التاسعة تماماً .

- وماذا كان تقديرك عن ساعة الوفاة ؟

فهرز الدكتور جيرار كتفيه وقال :

- من العسير ان احدد هذه الساعة بعد مرور اكثر من اثني عشر

ساعة على الوفاة . واذا طلبت للشهادة فيمكنني القول ان الوفاة حدثت

قبل التاسعة صباحاً فيما لا يقل عن اثني عشر ساعة ، وفيما لا يزيد على ثماني

عشر ساعة ، وهذا كما ترى لا يساعد في شيء .

وقال الكولونيل كاربري :

- حسناً يا دكتور جيرار .. اذكر اليسيو بوارو ، ما تعرف

بعد ذلك .

— حين استيقظت في صباح اليوم التالي وجدت الحقن على طاولة الزينة ،
خلف مجموعة من الزجاجات المختلفة .

ثم انحنى للأمام وتابع يقول :

— ربما يقول أحدهما انني غفلت في البحث عن الحقن في هذا المكان ،
ولكنني أؤكد لكما ان الحقن لم يكن موجوداً في ذلك الموضع حين
بحثت عنه في المساء السابق .. أنا واثق من هذا رغم حالة الحمى ، التي
كنت أعانيها .

فقال الكولونيل كاربري :

— وهناك شيء آخر يا دكتور .

— نعم ، هناك حقيقة ثان لها أهميتها . فقد لاحظت وجود علامة على
معصم يد مسز بونتون ، تشبه العلامة التي تحدثها وخزة إبرة الحقن ..
وقد فسرت إِبنتها كارول وجود هذه العلامة قائلة انها حدثت من وخزة
دبوس .

— حسناً ، والحقيقة الثانية !

— عندما فحصت محتويات حقيبة الأدوية والعقاقير ، وجدت ان كمية كبيرة
من عقار الديجيتوكسين ناقصة من القنينة .

— الديجيتوكسين ؟ إنه مهم للقلب . اليس كذلك !

— نعم ، إنه أحد مستحضرات عقار الديجيتالا .. وهناك أربعة
مستحضرات من هذا العقار . الديجيتالين ، والديجيتولين ، والديجيتالين ،
والديجيتوكسين

وهذا المستحضر الأخير هو أشدها ضراوة على القلب . وطبقاً لبحوث
الدكتور كوبس فإنه أشد تأثيراً على القلب بنسبة ستة إلى ثمانية أمثال
المستحضرات الأخرى .

— وما هو تأثير جرعة كبيرة منه ؟

- إن جرعة كبيرة من الديجيتوكسين إذا حقنت في الدم ، فلأنها تؤدي إلى الموت الفجائي بالسكتة القلبية ، والمعروف ان أربعة ملايين جرعات منه كافية لقتل الانسان البالغ .
وقال بوارو :

- وكانت مسز بونتون تعاني قبل موتها من مرض القلب .
فرد الطبيب :

- نعم .. وكانت تتناول دواء ، يحتوي على نسبة قليلة من الديجيتالين .

- هل تعني أن موتها حدث ، بسبب جرعة كبيرة ، من هذا
المقار ؟

- بل إنني أعني أكثر من هذا
وقال الدكتور جيار :

- إن الديجيتالين إذا أحدث الموت لا يترك أثراً يدل عليه عند تشريح الجثة
ما دام المريض قد اعتاد ان يعالج به .

فأوما بوارو برأسه وقال :

- نعم ، هذه براعة ، براعة كاملة ، ولن يستطيع أحد عند المحاكمة
أن يثبت أن في الأمر جريمة ..

وهذا يعني أن المجرم ، إذا كانت هناك جريمة حقاً ، له عقلية بارعة ،
عقلية حادة الذكاء ، عقلية جعلت صاحبها يعرف كيف يضع خطة محكمة
ثم ينفذها بدقة بالغة .

ثم صمت برهة وقال :

- لكن شيئاً واحداً يحيرني

- ما هو ؟

- سرقة المحقق .

فقال الطبيب :

- إنه أخذ من مكانه .

- أخذ وأعيد .

- نعم .

- إن هذا ما يحيرني .

فنظر اليه الكولونيل كاربري في دهشة وقال :

- هه ! ما رأيك ؟ هل في الأمر جريمة ؟

- إننا ، لم نصل بعد ، إلى مرحلة الإجابة عن هذا السؤال ..

لأن لدي أنا ، هيركيول بوارو ، دليلاً يجب أن أذكره بشأن هذا الحادث ..

- لديك أنت ؟

فابتسم في وجهيهما المدهوشين وقال :

- نعم ، لدي أنا .. فقي ذات ليلة ، وأنا في فندق الملك سليمان ، كنت

هلى وشك إغلاق نافذة غرفتي عندما سمعت شخصاً ما يقول هذه الكلمات

بصوت عصبي :

« ولهذا كله يجب ان تقتل » .

ولم أهتم بما سمعت ، على أساس انها كلمات يقرأها أحد في رواية

أو في مسرحية .. أما الآن فلاني واثق بأن الأمر كان أكثر جدية مما

حسبت ..

وصمت برهة قبل ان يقول :

- وقد تبينلت بعد ذلك ، ان قائل هذه الكلمات ، شاب رأيته

أمام مصعد الفندق ، في البهو .. وهذا الشاب ، حين سألت عنه ، يدعى

ريوند بونتون .

فهمتف الدكتور جيرار قائلا

— ريموند بونتون !

— نعم ..

وبعد برهة صمت قال الكولونيل كاربري

— والآن ، ماذا يمكننا ان نفعل ؟

فهمز جيرار كتفيه وقال :

— لا شيء .. إن من العسير إثبات التهمة على ريموند حتى لو كان هو

القاتل ..

قال بوارو :

— هل يعني هذا ان نترك الأمر عند هذا الحد ؟

فرد الطبيب ببطء :

— لقد كانت الميتة عجوز شريفة . وكان من المرجح ان تموت بداء

القلب في خلال شهر أو شهرين على الأكثر ..

وإن موت هذه المعجوز ، قد حرر من ربة الأسر أشخاصاً صالحين

للمعيش في المجتمع .

فقال بوارو :

— يعني انك راض عن هذا الوضع ؟

وبغثة ضرب الطبيب الطاولة بيده وقال :

— لا ، إني كطبيب لا يمكن أن أَرْضَى عن وضع كهذا مهما كانت نتائجه

الطبية . إننا معشر الأطباء نعيش للمحافظة على حياة الآخرين بصرف النظر

عن سلوكهم وأخلاقهم .

إني عاطفياً قد أقبل هذا الوضع ، أما عقلياً فإني لا أَرْضَى إطلاقاً أن

يموت إنسان قبل أجله المحدد .

فابتسم بوارو بصمت ، وقال كاربري :

— إني مثلك لا أحب جرائم القتل ، مهما كانت مبرراتها .. والآن ، ما

رأيتك يا مسيو بوارو في هذه الحالة ؟

فقال بوارو :

- إنك يا كولونيل كاربري تريد أن تعرف من قتل مسز بونتون
إن كانت قد قتلت حقاً . وتريد أن تعرف كيف رمق وقعت الجريمة ،
اليس كذلك ؟

- نعم ، طبعاً .

- هذا من حقلك بطبيعة الحال .

- وهل في مقدورك أن تكتشف غموض هذه الجريمة يا مسيو بوارو ؟

فقال بوارو بلا تردد :

- نعم ، بكل تأكيد . لكن علينا أن نقرر ، هل اشترك أفراد الأسرة
جميعاً في هذه الجريمة أم أن الذي ارتكبها فرد واحد .

فقال الطبيب :

- إن ما سمعته أنت من ريموند يحصر الجريمة في نطاقه هو ..

- نعم .. لا سيما وأنه كان آخر من تحدث إلى زوجة أبيه ، قبل
موتها ..

- لكن المس كنج ترفض هذا الدليل .

فتبسم بوارو وقال :

- أخبرني يا دكتور جبرار ، هل هناك . صلة عاطفية معينة بين ريموند

ومس كنج ؟

- نعم .

- وهل المس كنج ، هي الشابة ذات الشعر الكسبتاني ، والعينين

العسليتين الواسعتين والشخصية القوية المرتزمة على وجهها .

- نعم ، إنها هي .

- لقد رأيت ريموند عند المصعد ، في فندق الملك سليمان ، يحملق

فيها مبهوثاً ، وكأنه يرى ملاكاً هابطاً عليه من السماء . ولكن أخبرني ،
يا دكتور جيرار هل تظن ريموند من الطراز الذي يمكن أن يرتكب ببساطة
جريمة كهذه .

فقال جيرار ببطء :

- نعم ، في حالة اضطراب وتوتر عصبي شديد

- وهل هذه الحالة قائمة ؟

- نعم .. إن هذه الرحلة جعلت أفراد الأسرة يشعرون بالفارق الكبير
بين حياتهم السجينة في القصر ، وبين الحياة الرجبية في العالم الواسع .
ولا شك ان حب ريموند لساره قد ضاعف من شعوره بوجوب التخلص من
المرأة التي تسجنهم .

وقال كاربري كأنما تذكر شيئاً .

- وبهذه المناسبة يا مسيو بوارو ، ان الكلمات التي سمعتها من ريموند كان

يقولها لشخص ما .. اليس كذلك ؟

- نعم ، نعم ، طبعاً . ولا شك انه كان يتحدث إلى أحد أفراد
الأسرة . لكن من هو هذا الفرد ؟ او من هي ؟ هل يمكن يا دكتور
جيرار ان تذكر لي حالة أحد افراد الأسرة تشبه الحالة التي كانت عليها
ريموند ؟

- نعم .. انها أخته كارول ، أما لينوكس فكان قد بلغ حالة
من اليأس والرضوخ للأمر الواقع ، بحيث لم يكن يهجه أن يتمرد
عليه .

- وزوجته ؟

- انها رغم شعورها بالحزن واليأس والشقاء ، إلا انها لم تكن تعاني
من الصراع العقلي .. والواقع انها كانت تفكر جدياً في الانفصال عن
لينوكس .

ثم ذكر له الحديث الذي جرى بينه وبين جيفرسون كوب ، فأوما بوارو برأسه وسأل :

- وماذا عن الأبنه الصغرى ؟

- أعتقد انها في حالة خطيرة من الناحية العقلية . فقد بدت عليها أعراض الانفصام العقلي وأصبحت تظن انها شخصية خيالية . إن الكبت الذي تمانيه جعلها تهرب من الواقع الى الخيال ، لقد أخبرتني انها من أسرة مالكة وان الأعداء يحيطون بها ليقتلوا .

- وهذا يجعلها خطراً على الغير ؟

- نعم ، إن المريض بهذا المرض يلجأ أحياناً إلى القتل ، انه يقتل دفاعاً عن نفسه ، يقتل حتى لا يدع أحداً يقتله .

- إذن فأريك ان جنيفرا قد تكون مرتكبة الجريمة ؟

- نعم ولكنني أظن انها غير قادرة على تدبير أية جريمة بمثل هذا الإحكام . إن المريض بالانفصام العقلي يقتل بوسيلة بسيطة وبلا تدبير محكم .

- لكن هناك احتمالاً في أنها قد تكون القاتلة .

- نعم .

- هل تظن ان أفراد الأسرة يعرفون من هو القاتل ؟

فقال كاربري :

- إنني لا أشك في هذا . إن كل شيء في تصرفاتهم يدل على انهم يعملون شيئاً مشتركاً .

فقال بوارو :

- سوف نجعلهم يخبروننا بكل ما يعرفون .

فرد كاربري قائلاً :

- ولكن عليك ان تنتهي من هذا الأمر بسرعة ، لأننا لا نستطيع أن

نحجزهم هنا وقتاً طويلاً .
فقال بوارو بهدوء :
- ستظهر الحقائق كلها غداً مساء .
فعملق كاربري في وجهه وقال :
- انك واثق بنفسك جداً اليس كذلك ؟
- لأنني هير كيول بوارو يا صديقي .
فتبسم كاربري وقال :
- إذا نجحت في هذا ؛ فسوف أعترف بأنك معجزة في البحوث
الجنائية .

القت ساره كنج نظرات فاحصة على هير كيول بوارو .

بينما قال هو :

- إننا نريد ان نعرف الحقيقة عن هذا الموضوع ؟

- نعمي موضوع موت مسز بونتون ؟

- نعم .

- ألا ترى انها زوبعة في فنجان ؟ أم لعل تفكيرك الدائم في الجريمة

والجرمين جعلك مراقب في ..

فقاطعها بوارو قائلاً :

- من البديهي أن اراقب في وقوع جريمة كلما كان هناك ما يبرر هذا

الارتياب .

- وهل هناك ما يبرر ارتيابك في هذا الموضوع ؟

- وهل تعتقد ان الوفاة طبيعية يا مس كنج ؟

فصمتت لحظة ثم قالت :

- لو انك ذهبت إلى بئرا يا مسيو بوارو ؟ لأدركت مدى المشقة التي

يعانيتها المسافر اليها . ولا شك ان هذه المشقة يتضاعف تأثيرها على عجوز

مريضة بالقلب .

— هل يعني هذا ان الأمر طبيعي من وجهة نظرك كطبيبة ؟
— نعم . . وأنا لا أدري سر موقف الدكتور جيرار من الأمر . فقد كان راقداً بالملايا حين ماتت مسز بونتون . وأنا أعترف انه اكثر خبرة ودراية بالطب مني لكن ليس هناك الأساس الذي يستطيع به ان يثبت خطئي في تحديد وقت الوفاة . وان في القدس أطباء شرعيين يمكنهم التأكد من صحة قراري إن عرضتم الأمر عليهم .

وصمت بوارو برهة قبل ان يقول :
— إذن فأنت لا تعرفين بعض الحقائق المعينة ، انت الدكتور جيرار لم يخبرك . .
— أية حقائق تعني ؟

— لقد سرقت كمية من عقار الديجيتوكسين من حقيبة أدوية الدكتور جيرار . .

فأسرعت سارة وقد أدركت معنى هذا التطور الجديد في الموضوع .

— أوه ! هل الدكتور جيرار واثق من هذا ؟
— إن الأطباء كما تعلمين لا يلقون بأقوالهم جزافاً .

— نعم ، نعم . لكن هل لديك أية فكرة عن الشخص الذي أخذ هذا العقار أو عن الوقت الذي أخذ فيه ؟
— إنه حتماً لا يعرف من الذي أخذ العقار . لكنه واثق تماماً بأن جميع علب وزجاجات الأدوية كانت قامة عندهم ففتح الحقيبة ليلة وصوله إلى بئرا ليأخذ بعض الأسبرين .

وصمت بوارو برهة قبل ان يردف قائلاً :
— ما رأيك في هذا الدليل ؟
— إنه برأيي دليل ضعيف .
— كأنك تنصحيني بعدم القيام بأية تحركات أخرى بهذا الشأن .

- أظن ان أفراد آل بونتون تعذبوا في حياة الأم كثيراً ، وليس من الإنسانية أن تزيد عذابهم بكل هذه الشكوك والتدابير .

فتبسم بوارو قائلاً :

- أها . كأنك ترين ان موت هذه الطاغية القاسية خير من استمرار بقائها حية .

فاضطرم وجه سارة وقالت :

- إني لا أستطيع الاجابة عن سؤال شاذ كهذا .

- أيا كان أمر الضحية ، يا مس كنج . . سواء أكانت ملاكاً أم شيطانا ، فلإني لا أوافق على أن تقتل بيد فرد أو أفراد ليست لهم سلطة المحاكمة القانونية .

- تقل ؟ ما هي الأدلة على هذا ؟ إن الدكتور جيرار قد يكون مخطئاً في تقديره عن العقار ، لا سيما وقد كان يعاني من حمى الملاريا .

- لكن هناك دليلاً أقوى يا مس كنج .

- أي دليل هذا ؟

- علامة وخزة محقن على معصم مسز بونتون ، وكلمة سمعتها في ليلة وصولي إلى فندق الملك سليمان بالقدس ، سمعتها وأنا أغلق نافذة غرفتي ، وكانت الكلمات واضحة تماماً . هل تحبين سماعها يا مس كنج : حسناً ، إنها : لهذا كله يجب ان تقتل ، وكان قائلاً ريموند بونتون .

فرأى وجه ساره يمتقع بشدة وهي تقول :

- هل سمعت هذا ؟

- نعم .

- عجباً ! ألا تراها مصادفة نادرة ؟

- إن الحياة مجموعة مصادفات يا مس كنج ؟

- نعم ، نعم .

- هل تساعدني ؟
- بكل تأكيد .
- شكراً يا مس كنج . والآن ، أريد ان أسمع منك شخصياً كل ما حدث في ذلك اليوم الذي ماتت فيه مسز بونتون .
- وفكرت ساره برهة ثم قالت :
- ذهبنا في جولة صباحاً ولم يكن معنا أحد من آل بونتون . ولكنني رأيتهم في ساعة الغداء بجديقة الاستراحة ، وكانت مسز بونتون في حالة معنوية طيبة على غير العادة .
- معنى هذا انها لم تكن كذلك في معظم الأحوال .
- بالعكس .. كانت دائماً متجهمة الوجه ضيقة الصدر .
- ثم راحت تصف معاملة مسز بونتون لأفراد أسرتها . وقد علق بوارو على هذا بقوله :
- وكان هذا التصرف برأيك غير طبيعي .
- نعم ، إنها كانت تسجنهم حولها دائماً .
- هل تظنين إذن أن حالتها المعنوية الطيبة في ذلك الوقت هي التي دفعها لاطلاق سراحهم بضع ساعات ؟
- لا .
- إذن ما استلناجك ؟
- إنها كانت تلهو بهم هو القط بالجرذان .
- ماذا تقصدين يا مس كنج ؟
- إن القطه تستمتع برؤية الجرذ حين يحاول الهرب منها ، وهي لهذا تطلقه قليلاً لتومه بأنه حر ، ثم تنقض عليه . وفي رأيي ان مسز بونتون لها نفس هذه العقلية ، ولهذا كنت واثقة من أنها أرادت تحقيق هدفاً معيناً حين سمحت لهم بالتجول بعيداً عنها .

- وماذا حدث بعد ذلك ؟
- لقد بدأ أفراد الأسرة تجوالهم .
- جميعاً ؟
- لا ، فقد تخلفت الابنة الصغرى جنييفرا لأن أمها أمرتها بأن تأوي إلى فراشها لأنها متعبة .
- وهل كانت ترغب في أن تأوي إلى فراشها ؟
- لا ، لكن هذا لا يهم فما دامت الأم قد أمرت بذلك ، فلا يسد ان تطيع الابنة ، وسار الباقيون في الطريق إلى الزهرة . وقد لحقنا بهم الدكتور جيرار وأنا .
- متى كان هذا ؟
- في نحو الثالثة والنصف بعد الظهر .
- وأين كانت مسر بوفتون عندئذ ؟
- كانت نادين زوجة لينوكس ، قد عاوتها على الجلوس في مقعدها أمام الكهف .
- إستمري في الحديث .
- بعد ان انعطفنا في الممر وسرنا مسافة قصيرة ، شعر الدكتور جيرار باشتداد أعراض الحمى ، فقرر العودة . وكانت أعراض الحمى واضحة عليه مما دفعني لأقترح العودة معه لاساعده لكنه رفض .
- ومتى كان هذا ؟
- في نحو الرابعة .
- والباقيون ؟
- إستأنفوا التجوال وكنا كلنا معاً ، ثم انقسمنا .. فمشت نادين مع مسر كوب ، وبقيت كارول مع لينوكس ، ومضيت أنا مع ريموند ..
- وأين ذهبت مع ريموند ؟

— جلسنا في ظل شجرة وأخذنا نتأمل كل المناظر الطبيعية التاريخية
وبعدها انصرف ريموند وبقيت أنا برهة . وكانت الساعة الخامسة والنصف
حين رأيت ان الوقت قد حان لرجوعي إلى المعسكر . وقد وصلت اليه في
السادسة عند غروب الشمس .

— هل مررت بمسز بونتون في طريق عودتك ؟

— لاحظت انها لا تزال جالسة في كرسيها أمام باب الكهف .

— ألم تلاحظي شيئاً غريباً عليها ؟

— لا .. لأنني رأيتها جالسة على هذا النعوى في ليلة وصولنا إلى

بئرا .

— حسناً .. وبعد ذلك ؟

— ذهبت إلى حديقة الاستراحة ، وكان الجميع بها فيما عدا الدكتور

جيرار فدخلت خيمتي حيث اغتسلت .

ولما عدت اليهم كان العشاء قد أعد وذهب أحد العمال ليخبر مسز بونتون

لكنه عاد مسرعاً قائلاً انها مريضة جداً ، ولكنني حين أسرعنا اليها وفحصتها

وجدتها ميتة تماماً .

— ولم يخامرني اي شك في انها ماتت ميتة طبيعية ؟

— اجل ، لأنني علمت انها كانت تشكو من مرض القلب .

— هل ظننت ببساطة انها ماتت بالسكتة القلبية وهي جالسة ؟

— اجل .

— هل تمكنت من تحديد كم مضى عليها وهي ميتة ؟

— لم أفكر في هذا عندئذ ، وكل ما عرفته انها كانت ميتة منذ مدة

تزيد على ساعة ، وربما أكثر ، لأن انعكاس الحرارة على الصخور يجعل الجثة

تبطئ في البرودة .

— عجباً يا مس كنج ؟ ألا تعرفين ان ريموند قال انه حدثها قبل اكتشاف

موتها بنصف ساعة ؟

فهزت رأسها وأشاحت بعينيها عن عينيه وقالت :

— لا شك انه أخطأ في تحديد الوقت .

— لا يا مس كنج . . إنسه لا يمكن ان يخطئ في أكثر من نصف

ساعة .

فزمت ساره شفتيها برهة ثم قالت :

— رغم اني حديثة التخرج في كلية الطب ، إلا ان دراستي تجعلني

واثقة من أقوالي ، إن مسز بونتون كانت ميتة قبل ساعة على الأقل حين

فحصت جثتها .

فقال بوارو بغتة :

— كم مرة تحدثت إلى افراد أميرة بونتون يا مس كنج ؟

وفكرت ساره برهة ثم قالت :

— لا اعرف على وجه التحديد . فقد تحدثت مع ريموند في القطار

الذهاب إلى القدس وتحدثت مع كارول مرتين : مرة في مسجد عمر ،

والثانية في ساعة متأخرة بغرفتي ، وتحدثت مع نادين في الصباح التالي .

هذه هي المرات التي تحدثت فيها مع أفراد الأسرة حق ما بعد ظهر اليوم

الذي ذهبنا فيه جميعاً للنزهة في جبال بتر .

— ألم تتحدثي مع مسز بونتون إطلاقاً ؟

فلم يسم ساره إلا ان تذكر له حديثها في بهو الفندق مع مسز بونتون

وقد اختتمته قائلة :

— واعتقد اني كنت حقاً في حديثي هذا ؟

— حسناً يا مس كنج وشكراً ، سوف اسمع الآن اقوال الآخرين ؟

ونفضت ساره كنج لتنصرف ، ولكنها توقفت بغتة ثم نظرت إلى بوارو

في تردد واخيراً قالت :

- عذراً يا مسيو بوارو ، هل يمكن ان اقترح شيئاً ؟
- طبعاً ، طبعاً ، بكل تأكيد .
- لماذا لا تؤجل هذه التحقيقات كلها حتى تظهر نتيجة التشريح وتؤكد من ان شكوكك تقوم على اساس سليم ؟
- فقال بوارو بكل جرأة :
- هذه هي طريقة هيركيول بوارو في الكشف عن الجرائم الغامضة ؟
- وفادت ساره تعرب له عن رأيها في غروره ، ولكنها زمت شفقتهم - وانصرفت .-

دخلت الليدي وستولم الغرفة ، بثبات عابرة المحيطات ، وكانت
مس أمبيل بيرس ترفرف خلفها ، مثل مقطورة لا يمكنها السير
بفردتها .

فقالت الليدي وستولم بصوتها المرتفع :
- يسرني يا مسيو بوارو أن أقدم لكم أية خدمة لتحقيق العدالة إني أضع
نفسي دائماً في خدمة المجتمع الانساني
وبعد ان فرغت من حديثها الطويل عن واجب الانسان نحو المجتمع
الانساني .

فقال لها بوارو .
- أرجوك ، أن تذكرني لنا ، ماذا فعلت ، أو رأيت ، بعد ظهر
يوم الوفاة .
- نعم ، نعم ، بكل تأكيد . لقد قررنا ، أنا والمس بيرس ، أن نستريح
قليلاً بعد طعام الغداء في خيمتيئنا .
- هل كانت مسز بونتون جالسة أمام كهفها .
- نعم . لقد ساعدتها زوجة ابنها على الجلوس أمام الكهف قبل أن تمضي
في جولتها .

- هل كان في مقدورك أن تربها يجلاء ؟
- نعم ، إن الجرف الذي تقوم فيه كهوف النوم كان يرتفع قليلاً عن
حديقة الاستراحة ويبعد عن خيامنا بنحو مائتي ياردة .

فبسط بوارو أمامه خريطة المعسكر وقال :
- طبقاً لهذه الخريطة أقول إن كهف لينوكس بونتون وزوجته كان يقع
يحوار كهف مسز بونتون مباشرة .

أما كارول وريموند وجنيفرا ، فقد كانت لهم خيام تقع تحت جرف
الكهف مباشرة ، وتواجه حديقة الاستراحة في الناحية المقابلة لخيامكم .
اليس كذلك ؟

- نعم ..

- وعلى اليمين قليلاً من خيمة جنيفرا ، كانت تقع خيمة الدكتور جيرار
وبعدها خيمة مس كنج .

أما في الجهة المقابلة للحديقة فكانت تقع خيمتك يا ليدي وستولم ، ثم
خيمة مس بيرس وبينهما سور حديقة الاستراحة ثم خيمة مستر كوب صديق
أسرة بونتون

فأومأت الليدي وستولم برأسها موافقة .

فقال بوارو :

- حسناً يا سيدتي ، أرجو أن تستمري في الحديث .

- في نحو الرابعة إلا ربعاً ، خرجت إلى خيمة مس أمبل بيرس لأسألها
إن كانت تريد أن تتمشي معي قليلاً ، وكانت جالسة أمام باب خيمتها
تقرأ . واتفقنا على أن نتمشي قليلاً بعد نصف ساعة ، أي عندما تخف
حرارة الشمس بعض الشيء .

وعدت إلى خيمتي لأقرأ ، وبعد نصف ساعة صهبت المس بيرس
إلى النزهة .

وكان جميع من في المعسكر ثائمين كما بدا لي فيما عدا مسز بونتوت التي كانت جالسة في كرسيها أمام باب الكهف .
وقد اقترحت على المس بيرس أن تقضي وتسألها إن كانت تريد شيئاً قبل أن تغادر المكان .

فغمغم بوارو قائلاً :

- نعم إن هذا يدل على مدى إيمانك بالواجب

- شكراً ، ولكن تصور ماذا كان جزاؤنا ؟ فقد هتفت عليها ونحن نمر تحت الجرف أسألها إن كانت تريد شيئاً قبل أن نقضي ، فإذا بها تنظر إلينا كأننا حشرات ولا ترد علينا بأكثر من غمغمة .

فقالت مس بيرس بوجه مضطرب :

- شيء مخجل ؟

فقالت اللبوي وستولم :

- اني أعترف اني قلت للمس بيرس عندئذ ان مسز بونتوت ربما كانت مخمورة ، لأن موقفها منا كان غريباً جداً .

فقال لها بوارو :

- هل كان موقفها غريباً ، طيلة ذلك اليوم . في وقت الغداء مثلاً ؟

ففكرت اللبوي وستولم برهة ثم قالت :

- لا ، لا أعتمد . بل كانت تصرفاتها عندئذ طبيعية جداً .

لكن مس بيرس قالت :

- لا تدسي انها كانت غليظة في تصرفها مع ذلك العامل العربي

- متى ؟

.. قبل ان نتمشى بمدى غير قصير .

... آه ، تذكرت .. فقد كانت تائرة ووجهت اليه الفاظاً قاسية ولكن

الرجل لم يفهم شيئاً طبعاً ..
على ان الانسان ، عندما يكون مجهداً بسبب السفر ، قد تتوتر أعصابه
من أقل شيء .
- من هو ذلك العامل ؟

- أحد عمال مكتب السياحة ، وأعتقد إنها طلبت منه أن يأتيها
بشيء معين ، فجاءها بشيء آخر . والواقع انها كانت شديدة القسوة معه
حق لقد تراجع عنها في خوف وانطلق بعيداً ، وقد لوحت وراءه بعصاها
وهتفت عليه .

- ماذا قالت له ؟
- لا أعرف ، لأننا كنا بعيدين عنها في ذلك الوقت . اليس كذلك
يا مس بيرس .

فردت مس بيرس وقد اضطرم وجهها ثانية :
- نعم ، نعم . ويبدو انها أرسلته ليأتي لها بشيء من خيمة
ابنتها جنييفرا ، فلم ينجح ، أو لعلها رأته خارجاً من خيمة جنييفرادون
سبب واضح .
فقال بوارو :

- ما شكل هذا العامل ؟
- إنه رجل طويل يرتدي عقلاً وسترة وبنطالوناً لونهما كالكبي .. وكان
بنطالونه ممزقاً وحزام الساق (القلشين) غير محكم على ساقيه .
- هل يمكنك ان تتعرفي عليه من بين عمال المكتب السياحي ؟
لا أظن ، لأننا لم نر وجهه ، كما ان هؤلاء الناس يشبهون بعضهم
البعض .

بعد برهة قال بوارو :
- حسناً . يمكننا أن نتعرف على هذا العامل لنعرف منه لماذا غضبت

مسز بونتون عليه

والآن ، إستمري في الحديث يا ليدي وستولم .

فقالت الليدي وستولم :

بعد أن سرنا قليلا ، التقينا بالدكتور جيرار يعود مترنحا صاحب
الوجه با-ي المرض . كان واضحا عليه انه محوم بالملاريا ، وقد عرضت عليه
أن أذهب معه إلى خيمته وأحضر له بعض الكينين لكنه رفض قائلا أن لديه
حاجته من الكينين في الخيمة

واسألفنا المسير ، حتى وصلنا إلى صغيرة ظلية ، فجلسنا تحتها
نستريح .

-- وهل كنتما ، في تلك البقعة ، بعيدين عن مرمى البصر ، من
المعسكر ؟

-- لا ، كنا جالستين في مواجهته

- هل كان في مقدورك أن تري أحدا من أفراد أسرة بونتون ؟

-- نعم .. رأينا الابن الأكبر وزوجته ، وهما في طريق الرجوع إلى
المعسكر .

-- هل كانا سووية ؟

لا ، فقد مر مسز بونتون أولا ، وكان يبدو كالريض بضربة شمس
لأنه كان يسير في حالة ذهول .

وماذا عمل حين عاد الى المعسكر ؟

. ذهب فوراً إلى أمه لكنه لم يمكث معها إلا وقت قصير .

-- ما هي المدة التي مكثها على وجه التحديد ؟

-- دقيقة أو دقيقتين . ثم ذهب الى كهفه وبعد ذلك هبط إلى حديقة
الاستراحة .

- وماذا عن زوجته ؟

- إنها شابة لطيفة معقولة .
- هل راقبتها وهي عائدة المعسكر ؟
- نعم ، فقد ذهبت إلى حماها ، وتحدثت معها قليلا ، ثم دخلت كهفها واستحضرت كرسيها وجلست بجوار حماها فتحدثت معها مدة ، نحو عشر دقائق .
- وبعد ذلك ؟
- أعادت الكرسي إلى الكهف وهبطت إلى حديقة الاستراحة حيث جلس زوجها .
- وماذا حدث بعد ذلك ؟
- وصل ذلك الأمريكي صديق الأسرة . أظن اسمه "كوب" ، وأخبرنا أنه شاهد مكانا أثريا جميلا ، فذهبا معه وشاهدنا البقعة الأثرية ثم عدنا إلى المعسكر وكانت الساعة قد بلغت السادسة إلا ثلثا ، وكانت البرودة قد بدأت تشيع في الجو .
- هل كانت مسز بونتون في مكانها كما تركتموها ؟
- نعم .
- هل تحدث أحد منكم إليها ؟
- فقالت الليدي وستول :
- لا .. وإذا شئت الحقيقة فإني لم أنظر ناحيتها بعد ان لاحظت وجودها من بعيد .
- وماذا عملت بعد ذلك ؟
- دخلت خيمتي وغيرت ملابسني ، وعدت إلى حديقة الاستراحة حيث شربت الشاي مع مس أمبل بيرس .
- وأخبرنا المرشد العربي ان العشاء سيكون حاضرا بعد نصف ساعة ، وكان مساعده يحضرون الطاولة .

فقال بوارو :

-- هل كان هناك أحد في حديقة الاستراحة ؟

- آوه ، نعم .. مستر ومسز لينوكس بونتون ، كانا جالسين في طرف من الطاولة ، وكارول كانت هناك أيضا .

- ومستر كوب ؟

- إشارك معنا في شرب الشاي

- وبعد ذلك ؟

- أذكر أن ريموند بونتون وصل من نزهته ، ثم أقبل على مائدة العشاء ، وأقبلت بعده أخته الصغرى ذات الشعر الذهبي . أما مس كنج فكانت آخر من حضر إلى الطاولة .

ثم أرسل المرشد أحد العمال ليخبر مسز بونتون ان العشاء حاضر .. لكن العامل عاد مسرعاً في حالة اضطراب ، وسمعنا ان مسز بونتون أصيبت بمرض ، وعرضت مس كنج خدماتها ، لكنها قالت بعد ان ذهبت إلى المريضة أنها ميتة تماماً .

- وكيف تلقى أفراد الأسرة الخبر ؟

- الواقع ان من العسير أن يحزر المرء حقيقة مشاعرهم .. لقد تلقوا الخبر في هدوء تام وذهبوا كلهم مع مس كنج .. ولكنني بقيت مع مس بيرس حتى لا نبذو متطفلين ..

وأخيراً عاد المرشد مع مس كنج ، واقترحت ان نتناول نحن العشاء على أن يتناولوه أفراد الأسرة لاحقاً ، ووافق الباقون على هذا الاقتراح .

وبعد ان فرغنا من الأكل أويت إلى خيمتي ، وكذلك فعلت مس بيرس ومس كنج أما مستر كوب فقد جلس في حديقة الاستراحة ليكون تحت أمر الأسرة إذا احتاجوا اليه .

هذا كل ما أعرف يا مسيو بوارو

فسألهما بوارو قائلاً :

- عندما ألتفت مس كننج بالنبا ، إلى أفراد الأسرة ، هل ذهبوا معها كلهم ؟

- نعم .. لا .. أذكر الآن ان الابنة الصغرى ذات الشعر الذهبي بقيت في حديقة الاستراحة ، اليس كذلك يا مس بيرس ؟

- نعم ، تماماً .

- وماذا عملت الابنة الصغرى يا ليدي وستولم ؟

- ماذا عملت ؟ إنها لم تعمل شيئاً .

- أعني ألم تكن تقرأ أو تشغل نفسها بشيء ما ؟

فردت مس بيرس بغتة :

- كانت تدير إبهامها دون ان تتحرك من مكانها .

- سؤال واحد أخير يا ليدي وستولم . أرجو ان تستديري بوجهك عن

مس بيرس .. آه ، حسناً ، والآن هل يمكن ان تصفي لي ماذا ترتدي مس بيرس اليوم ؟

فمزت الليدي وستولم كتفها وقالت :

- هل تريد ان تختبر قوة ملاحظتي ؟ حسناً ، إن مس بيرس ترتدي ثوباً

من القطن مخططاً باللونين الأبيض والبنّي مع حزام سوداني أحمر ، مطرز

باللونين الأزرق والبيج ، وترتدي جوارب حريرية لونها بيج ، وحذاء بنياً من

الجلد الاجلاسيه . وهناك رتق في الجورب الأيسر . وتضع حول عنقها عقداً

من حبات لونها أزرق ، كما تلتزم بسوار عليه نقش فراشة ، وفي إصبع يدها

اليمنى الأوسط خاتم له فص من الماس المقلد ، وعلى رأسها قبعة من الفلين ذات

لونين أزرق وبنّي .

وبعد برهة صمت قالت :

هل هناك شيء آخر يا مسيو بوارو ؟

فبسط بوارو يديه وقال :
- إني لا أعرف كيف أعرب لك عن إعجابي بقوة ملاحظتك يا ليدي
وستولم .

- إن التفاصيل الدقيقة قلما تفوتني
ونهمضت لتغادر الغرفة ، وتبعتهما مس بيرس وهي تنظر في أسف إلى
الرتق في جوربها الأيسر .

وقبل ان تنصرف مس بيرس تماماً نادى بوارو عليها وقال :
- لحظة واحدة من فضلك يا مس بيرس .
فتوقفت بغتة والتفتت إليه قائلة وقد بدا الخوف على وجهها :
- نعم يا مسيو بوارو ؟

والمخفي بوارو نحوها وأشار إلى طاولة في الركن وقال :
- أترين هذه الباقة من الزهور البرية على هذه الطاولة ؟

فحملت مس بيرس إلى الزهور وقالت :

- نعم .
- وهل لاحظت ، عند دخولك الغرفة ، انني عطست مرة أو
مرتين ؟

-- نعم .
- وهل لاحظت اني ، أني كنت أشم هذه الزهور ؟
- لا . لا لم ألاحظ هذا .

- ولكنك تتذكرين اني عطست ؟
-- أوه ، نعم ، إني أتذكر هذا .

فابتسم بوارو وقال .
- حسناً ، لا بأس إن هذه الزهور من النوع الذي يشير شيئاً من الحساسية
عند بعض الناس .

- الحساسية أوه ، إن لي إبنة عم مريضة بهذه الحساسية ولا تكاد تأكل شيئاً أو تشم شيئاً حتى تصاب بها .
- شكراً ، شكراً يا مس بيرس .
واستطاع بوارو أن يتخلص من مس بيرس ومن حديثها عن حساسية إبنة عمها .
وبعد انصرافها رفع حاجبيه وغمغم قائلاً كأنما يحدث نفسه :
- ولكنني لم أعطس .. نعم .. لم أعطس منذ أسبوعين ، على الأقل .

حين دخل لينوكس غرفة مسيو بوارو ، كان الكولونيل كاربري قد تركها لبعض شأنه ، ولو ان الدكتور جيرار كان حاضراً بها لدهش كل الدهشة وهو يرى لينوكس يدخل بخطى ثابتة ، مرفوع الرأس ، رابط الجأش ، أبعد ما يكون عن ذلك الرجل المتهالك الضعيف ، الخائف من سيطرة زوجة أبيه .

ونفض بوارو لاستقباله قائلاً :

— طاب صباحك يا مستر بونتون افني شاكر لك تفضلتك بالحضور .

فأوماً لينوكس وقال وهو يتخذ مجلسه :

— لقد نصحتني الكولونيل كاربري بالحضور قائلاً انه من الأفضل لنا كلنا ان نتجاوب معك حتى لا يبقى هناك أي شك في طبيعة وفاة أمنا .
فقال بوارو في عرض الحديث :
. لا شك ان الوفاة كانت صدمة شديدة لك .

— نعم طبعاً . أعني ، لا ، ليس إلى حد كبير كنا نتوقع وفاتها في أي وقت بسبب مرضها بالقلب .

— هل كان من الحكمة إذن وهذه حالتها أن تسمحوا لها بالقيام بهذه الرحلة الشاقة .

- فرغ الشاب رأسه وقال بوقار :
- إن أمي يا مسيو بوارو اعتادت ان تنفذ رغباتها، فهي إذا قررت شيئاً فلا يد ان تنفذه دون أي اهتمام بمعارضتنا .
- نعم ، إن للسيدات المعجائز تصرفات تثير الأعصاب .
- فرد الشاب بضيق :
- ما جدوى التحدث في هذه الشؤون الآن ؟ بل ما هو الغرض من كل هذه الاجراءات التي تتخذونها ؟
- املك لا تعرف يا مستر لينوكس ان مثل هذه الاجراءات ضرورية في حالات الوفاة المفاجئية .
- فقال لينوكس بحدة :
- ماذا تعني بمعبارة « حالات الوفاة المفاجئية » ؟
- فهز بوارو كتفيه وقال :
- في هذه الحالات لا بد للانسان ان يتساءل : هل كانت الوفاة طبيعية او . . . او انتحار مثلاً .
- انتحار ؟؟
- إنك طبياً أكثر الناس دراية بالظروف التي أحاطت بالوفاة . ولكن الكولونيل كاربري في حيرة من امره . انه لا يدري هل يصدر امراً باجراء التحقيق وتشريح الجثة ، أم ؟ حسناً ، فقد طلب مني ان اقوم ببعض التعريبات قبل ان يتخذ قراره الأخير بهذا الشأن .
- إني في هذه الحالة مضطر لارسال برقية إلى القنصل الأمريكي في القدس .
- هذا من حقلك طبياً ، ويمكنك ايضاً ان ترفض الاجابة على أية اسئلة اوجهها اليك .
- لا لا . . . لا داعي لهذا كله ، اني مستعد للاجابة على اي سؤال وإن كنت أرى ان الأمر أبسط من ان تثار حوله هذه الضجة .

- فأوماً بوارو برأسه وقال متلطفاً :
- انها مسألة إجراءات عادية . وكل ما اطلبه منك ان تخبرني بما حدث بعد ظهر يوم الوفاة . فقد علمت انك تركت المعسكر للقيام بنزهة ذلك الحين .
 - غادرنا المعسكر كلنا فيما عدا امي واخوتي الصغرى .
 - هل كانت والدتك جالسة أمام كمها عندئذ ؟
 - نعم ، ككل يوم بعد الظهر منذ وصلنا إلى بئرا .
 - حسنا ، متى بدأت النزهة ؟
 - بعد الساعة الثالثة .
 - متى عدت منها ؟
 - لا ادري على وجه التحديد ، ربما كانت الساعة عند هودتي الرابعة او الخامسة .
 - اي بعد ساعة او ساعتين من بدء النزهة .
 - تقريبا . . .
 - هل مررت بأحد اثناء عودتك ؟
 - لا اذكر .
 - الم تمر بسيدتين كانتا جالستين في طريق عودتك ؟
 - ربما . . ربما .
 - كأنك كنت مستغرقا في تفكير شديد .
 - هذا ما حدث .
 - فصمت بوارو قبل ان يستأنف اسئلته قائلا :
 - هل تحدثت مع والدتك ، اي مع زوجة ابيك عند عودتك ؟
 - نعم . . نعم هذا ما علمته .
 - الم تشك لك من إحساسها بتعب او مرض مفاجيء ؟
 - وفكر لينوكس برهة قبل ان يجيب قائلا .

- لا بل كانت في حالة طيبة .
 — هل يمكن ان اسأل عما دار بينكما بالتفصيل ؟
 ومرة اخرى سمعت لينوكس قبل ان يجيب :
- قالت اني بادرت بالعودة فقلبت اجل لأن الجو حار ، ثم سألتني عن الوقت قائلة ان ساعة يدها توقفت . فأخذتها منها وضبطتها ثم أعدتها ووضعتها في معصمها .
 فقاطعه بوارو قائلاً برفق :
 — كم كان الوقت عندئذ ؟
 — آه ؟
 — كم كان الوقت حين ضبطت الساعة لوالدتك ؟
 — كان .. كان الخامسة إلا خمسا وعشرين دقيقة .
 فقال بوارو برفق :
 — إذن فقد كنت تعرف متى عدت للمخيم على وجه التحديد .
 فاضطرم وجه لينوكس وقال :
 — ما اغباني ؟ اني آسف يا مسيو بوارو . لقد خانتني ذاكرتي ولا عجب في هذا بعد كل هذه المتاعب .
 — اجل .. اجل .. ان لك العذر طبعاً .. حسناً ، وماذا حدث بعد ذلك ؟
- سألت امي إن كانت تريد شيئاً : شراباً ، او شاياً او قهوة ،
 ففألت لا ، ثم ذهبت إلى حديقة الاستراحة ولم يكن بها احد من العمال العرب .. فشربت زجاجة ماء بالصودا ، ثم جلست أقرأ بعض أعداد قديمة من مجلة سارداي ايفننج بوست ويبدو اني غفوت قليلاً .
- وهل لحقتك زوجتك إلى حديقة الاستراحة ؟
 — نعم ، جاءت بعد مدة غير طويلة .

- ولم تر مسز بونتون على قيد الحياة بعد ذلك ؟
 - نعم لم أرها إلا .. ميتة .
 - ولم تكن محتاجة أو مضطربة حين كلمتها ؟
 - لا ، كانت تماماً كعهدنا بها .
 - هل هذا كل ما لديك من أقوال ؟
 - نعم
 - حسناً ، أرجو ان تتكرم بإرسال زوجتك .
- وبعد انصرف لينوكس ، كتب بوارو في مفكرة أمامه ما يلي لينوكس بونتون : الساعة ٣٥ ؛ بعد الظهر .

نظر بوارو باهتمام إلى نادين وهي تدخل الغرفة بقماتها الطويلة ، ورأسها المرفوع في شموخ ، واعتداد بالنفس ، ثم نهض ليستقبلها ويحييها بصوت رقيق قائلاً :

— مسز لينوكس بونتون ؟ إنني هير كيول بوارو ، في خدمتك .

وجلس نادين بونتون ، وركزت عينيها على وجه بوارو ، الذي تابع قائلاً :

— أرجو ان تغفري لي موقعي هذا في ساعات أحزانكم .

وصمتت برهة قبل ان تتنهد قائلة :

— أعتقد أنه من الأفضل ان أكون صريحة معك يا سيد بوارو .

— إني أتفق معك في هذا يا سيدتي .

— إذن أرجو ان تعلم اننا لا نشعر بأي حزن على وفاة حماتي ، او هذا هو

شعوري أنا على الأقل .

— شكراً لك على هذه الصراحة يا مسز لينوكس .

— ومع ذلك فأنا أشعر بتأنيب الضمير .

— عجباً !

— لأنني كنت السبب المباشر في موتها ..

فترأى بوارو في جلسته وقال :

- هل تسمحين يا سيدتي وتفسرين حديثك هذا ؟

- نعم . هذا ما أريد ان أفعله . لقد خطر لي في أول الأمر ان أحفظ لنفسى بما حدث . ولكن بعد هذه التطورات ، رأيت أن أذكر الحقيقة .

وأعتقد يا مسيو بوارو ، انك جدير بأن يفضي اليك الانسان ، بأسراره الخاصة .

- شكراً يا مسز لينوكس .

- حسناً .. يمكنني أن أخبرك ان حياتي الزوجية لم تكن سعيدة ، ولا ذنب لزوجي في هذا لأن زوجة أبيه كانت مسيطرة عليه تماماً .. وقد خامرني الشعور ، منذ مدة ، بأنني لم أعد أطيق الاستمرار في هذه الحياة .

وحملت برهة قبل ان تستطرد قائلة :

- وفي يوم وفاة مسز بونتون ، او على الأصح ، بعد ظهر ذلك اليوم ، اتخذت قراراً نهائياً ورأيت ان أبدأ بتنفيذه فوراً . ومن ثم عدت المنعّم من زهقي وانتهزت فرصة وجود مسز بونتون بمفردها أمام كهفها وأخبرتها بهذا القرار .

- حسناً ، يا سيدتي ، هل يمكن معرفة هذا القرار ؟

- قررت ان أنفصل عن زوجي

- أهكذا ؟

- نعم ، وكان مسز كوب صديق الأمرة ، يلح علي دائماً ان أفعل هذا لأتوجه ، وقد وافقت على رغبته في ذلك اليوم .

- وهل دهشت مسز بونتون عندئذ ؟

- بل صدمت ، لقد دهشت وغضبت في وقت واحد ، بل لقد تبادت في

غضبها بحيث لم تستطع قول شيء في أول الأمر ، ولم أشأ المجادلة في شأن
يخصني ، فنهضت وانصرفت عنها .

وصمتت برهة ثم أردفت قائلة :

— ولم أرها بعد ذلك حية .

— وأنت تظنين ان وفاتها ناتجة من هذه الصدمة ؟

— بل يبدو لي ان هذا هو المؤكد . فقد أجهدت نفسها في الرحلة أكثر
 مما ينبغي ، وقد أجهز عليها حديثي معها والصدمة التي تلت هذا الحديث ،
 وإن إحساسي بالذنب يزداد لأنني أعرف الكثير عن الشؤون الطبية ، وكان
ينبغي إن أدرك سلفاً نتائج مثل هذه الصدمة عليها .

— وماذا عملت بالتحديد بعد انصرافك عنها ؟

— أعدت الكرمي إلى كهفي ، وهبطت إلى حديقة الاستراحة حيث كان
زوجي جالساً .

— هل أخبرته بذلك قبل حديثك مع المسز بونتون ؟

— أخبرته في حديقة الاستراحة

— وكيف تلقى هذا القرار ؟

— إضطرب كثيراً .

— ألم يطلب منك بالراح أن تعيدي النظر في قرارك هذا ؟

— الواقع انه لم يتحدث كثيراً ، لأنه .. لأنه كان يتوقع أن يحدث هذا
عاجلاً أو آجلاً .

— عذراً في توجيه هذا السؤال اليك ، هل الرجل الآخر هو المستر

جيفرسون كوب ؟

— نعم .

— هل لديك محققين يا مسز لينوكس ؟

وبعد برهة صمت طويلة قال بوارو في هدوء تام :

- نعم ، ولا !
فلما رفع حاجبيه في دهشة فسرت الأمر بقولها :
- إن لدي محققاً قديماً في حقيقة الأدوية بين أمتعة السفر . وهو في
القدس بالفندق .
- آه ، فهمت !
وبعد برهة صمت قالت فادين وهي ترتعد بقلق :
- لماذا توجه إلي هذا السؤال يا مسيو يوارو ؟
فلم يجب عن سؤالها وإنما وجه إليها سؤالاً آخر :
- أعتقد ان مسز بونتون كانت تتناول عقاراً يحتوي على أحد مستحضرات
الديجيتالا !
- نعم .
- لأنها كانت مريضة بالقلب ؟
- نعم .
- والديجيتالا من العقاقير التي تحتوي على سموم ؟
- أعتقد هذا ، وإن كنت لا أعرف الشيء الكثير عنه ..
- إذا كانت مسز بونتون قد تناولت جرعة ، أكبر مما ينبغي ، من
هذا الدواء .
فقاطعته بسرعة فائقة :
- إنها لم تفعل لأنها كانت دقيقة جداً في هذه الناحية . وكذلك كنت أنا
حين أضع النقط بالعدد المطلوب .
- ربما كانت نسبة عقار الديجيتالا أكبر من اللازم في هذا الدواء ، أي ربما
أخطأ الصيدلي في تحضيره .
- أعتقد ان هذا غير محتمل .
- حسناً ، سنأكد من هذا بتحليل الدواء .

- هذا أيضاً غير ممكن لأن زجاجة الدواء إنكسرت .

فرقع بوارو حاجبيه باهتمام مفاجئ ، وقال :

- أحقاً .. وماذا كسرهما ؟

- لا أدري بالتحديد ، إنه أحد العمال كما أظن ، فقد كان الضوء خافتاً

عند نقل أمتعة مسز بونتون إلى الكهف ، كما كان الجميع في عجلة ، وقد

اصطدم أحد العمال بمنضدة .

- إن هذا شيء يثير الاهتمام حقاً .

وتلملت نادين بكرسيها وقالت بلهجة تحد :

- هل تظن ان مسز بونتون لم تمت من صدمة حديثي معها ، إنما بسبب

جرعة زائدة من العقار ؟ إنني لا أرى هذا محتملاً .

- حق لو قلت لك ان الدكتور جيرار الذي كان مقيماً في الخيم وجد أن

كمية من عقار الديجيتوكسين ناقصة من زجاجة في حقيبة أدويته ؟

فتسمرت نادين في مكانها وقد امتقع وجهها بشدة .

فقال بوارو :

- حسناً يا سيدتي ، ما رأيك في هذا ؟

فمرت بضع لحظات قبل ان ترد قائلة بصوت مرتجف :

- أنت تعرف يا مسيو بوارو إنني لم أقتل حماتي فقد كانت على قيد الحياة

حين انصرفت عنها . ويمكن لعدد كبير من الناس ان يشهدوا بهذه الحقيقة ،

وما دمت بريئة من هذه التهمة يمكنني أن أقدم بالتاس اليك . لماذا تشق على

نفسك بالتدخل في هذه المسألة ! إذا أقسمت لك في ان العدالة ، والعدالة

وحدها قد أخذت مجراها فهل تنفض يديك من المسألة كلها ! فقد كان الشقاء

يظلم عدداً من الأبرياء المسالمين ، وهم الآن يعيشون في أمن وسلام وأمل في

السعادة ، فلماذا تحاول أن تحطم هذا كله ؟

وركز بوارو نظراته عليها ثم قال :

- صارحيني يا سيدي . ماذا تريد مني أن أعمل ؟
- إني أطلب منك أن توافق على ما أقول ، وهو أن مسز بونتون ماتت ميتة طبيعية .
- أرجو أن تحددي الموقف . انك تعتقدين ان حثائك ماتت مقتولة لكنك تريد مني ان أجاوز عن هذا .
- إني أطلب منك الرحمة .
- الرحمة لشخص لا يعرف معنى الرحمة .
- انك لا تفهم الحقيقة ، الأمر ليس هكذا .
- هل ارتكبت هذه الجريمة يا سيدي حق تعرفي الحقيقة كلها !
- فهزت رأسها وقالت بهدوء :
- لا فقد كانت حية حين تركتها .
- إذن ماذا حدث انك إما تعلمين عن يقين او تراقبين .
- لقد سمعت يا مسيو بوارو انك في جريمة في قطار الشرق قد قبلت حلاً غير رسمي في موقف ، ائلهذا .
- فنظر اليها مندهشاً وقال :
- من قال لك هذا !
- سمعت . فهل ما سمعته صحيح !
- لقد كانت الظروف مختلفة
- لا ، لقد كان الرجل القليل شريراً ، كما كانت هي .
- إن أخلاق المجني عليه لا دخل لها في أمر كهذا . . وإن الشخص الذي يعطي لنفسه حق الاقتصاص من الغير بلا سند قانوني يمكن أن يتجدي ويصبح خطراً على المجتمع ، ولهذا يجب التخلص منه أو الحد من خطره .
- ما أشد صلابتك ؟
- سيدي .. إني عنيد في بعض الظروف . ولا يمكن ان أتسامح مع شخص

يرتكب جريمة قتل . هذه هي كلمة هيركيول بوارو الأخيرة .
فنهضت قائلة وقد تطاير الشرر من عينيها
- إذن إذهب واجلب الشقاء على رؤوس أشخاص أبرياء معذبين . . أما أنا
فلم يعد لدي ما أقول .
- لكن ماذا حدث بعد ان انصرفت عن حمائك وذهبت إلى زوجك
في حديقة الاستراحة ؟
... ومن أين لي أن أعرف ؟
- إنك تعرفين أو . ترتابين على الأقل
فقلت وهي تنصرف من الغرفة :
إني لا أعرف شيئاً يا مسيو بوارو

بعد انصراف نادين ، كتب بوارو في مفكرته هذه العبارة : نادين بونتون :
الساعة ١٠ بعد الظهر .

ثم استدعى أحد رجال الشرطة ، وطلب منه استدعاء المس كارول
بونتون .

فلما أقبلت هذه ، نظر اليها بوارو باهتمام .

ولاحظ اضطراب أعصابها في ارتعاد أصابع يديها الجميلتين ، وشحوب
وجهاها .

وقال لها بحياء .

- تفضلي بالجلوس يا مس كارول ..

فلما جلست في خضوع قال لها :

- الآن ، أرجو منك أن تخبريني بكل ما تعرفين عما حدث بعد ظهر اليوم
الذي حدثت فيه الوفاة .

وأجابت بسرعة ، جعلت بوارو يشك في أنها تحفظ الإجابة ، عن
ظهر قلب :

- لقد ذهبنا إلى نزهة .. ثم عدت إلى الخيم

- لحظة واحدة من فضلك هل ذهبت معاً . كلم ؟

- لا . لقد كنت معظم الوقت مع أخي ريموند أو مع المس كنج ؛ ثم انفردت بنفسى .
- شكراً ، ثم عدت إلى الخيم . متى على وجه التقريب ؟
- أعتمد ان الساعة كانت الخامسة وعشر دقائق .
- ودون بواردو في مفكرته هذه العبارة : كارول بونتون : الساعة ١٠ : ٥
- بعد الظهر تقريباً . .
- ثم قال لها :
- وبعد ذلك ؟
- كانت أمى جالسة حيث تركناها . فذهبت إليها وكلمتها ، ثم مضيت إلى خيمتى .
- هل تذكرين الحديث الذي دار بينكما ؟
- قلت لها فقط ان الجو حار وإني سأستريح قليلاً في خيمتى . قررت هي انها ستبقى في مكانها .
- هذا هو كل شيء
- أم يكن في مظهرها شيء خاص لفت نظرك ؟
- ففكرت برهة ثم ردت :
- أتذكر الآن فقط ان وجهها كان شديد الاحمرار ا
- ربما كان من صدمة تلقتها ؟
- صدمة ؟
- نعم . . أو لعلها كانت غاضبة ، بسبب تصرف أحد العمال في الخيم ا
- ربما ا
- كأنما لم تخبرك بشيء ؟
- لا ، مطلقاً .

- وماذا عملت بعد ذلك ؟

- عدت إلى خيمتي ، ورقدت نحو نصف ساعة ، ثم توجهت إلى حديقة الاستراحة .. حيث كان ، أخي وزوجته ، جالسين يقرأن .

- وماذا فعلت أنت ؟

- فرغت من خياطة قطعة ملابس ثم أخذت مجلة .

- هل تحدثت مع أمك مرة أخرى ، عند توجهك إلى حديقة الاستراحة ؟

- لا ، لقد توجهت إلى الحديقة فوراً . بل أعتقد إنني لم أنظر إلى حيث كانت أمي جالسة .

- وبعد ذلك ؟

- بقيت في حديقة الاستراحة حتى .. نقلت البنا من كنج نياً وفاتها

- وماذا كان شعورك عندئذ يا مس كارول ؟

- فحملت في وجهه برهة .

ثم قالت :

- كانت صدمة شديدة .

- أحقاً !

- ماذا تعني يا مسيو بواروا

- هل كانت صدمة شديدة حقاً ؟ ألا تذكرين حديثاً دار بينك وبين ريموند

في ليلة ما بمدينة القدس ؟

وأصابت كلماته الصميم ، فإذا وجهها يمتقع بشدة ، وإذا هي تقول

هامة :

- هل تعرف هذا ؟

- نعم .
- ولكن .. كيف !
- سمعت جزءاً من هذا الحديث وأنا أغلق نافذة غرفتي .
ودفنت كارول وجهها بين يديها وبكت .
فقال بوارو :
- كنت تتآمرين ، مع أخيك ريموند ، على قتل زوجة
أبيكما !
وبصوت تقطعه شهقات البكاء ، قالت :
- كنا مجنونين . مجنونين في تلك الليلة ..
- ربما .
- إن من المستحيل عليك ان تتصور الحالة النفسية التي كنا عليها .
لقد كان عذابنا محتملاً في أمريكا ..
أما بعد أن رأينا الدنيا وجمالها ، فقد تضاعف شعورنا بالسجن
والحرمان .
وهكذا انتابنا الشعور باليأس ولا سيما بسبب حالة جيني .
- جيني !
- شقيقي الصغرى . جنيفرا . إنك لم ترها .. لقد بدأت قواها العقلية
تختل من فرط الضغط الواقع عليها .
وكنت أخشى ، مع ريموند ، ان يلقيني بها الأمر إلى الجنون التام .
وقد وافقتنا زادين على هذا ، ونادين تعرف في مثل هذه الأمور الصحية
أكثر منا .
- نعم ، نعم ، طبعاً .
- وفي تلك الليلة في القدس ، كانت حالتنا النفسية قد بلغت الذروة
من السوء ، مما جعلنا نظن ان التآمر على قتل زوجة أبنينا أمر ضروري ،

وليس فيه ما يسيء إلى أحد ..

لقد آمنا ، عندئذ ، انها مجنونة تماماً .. إني لا أعرف رأيك ، في أمر كهذا . ولكنني أعتقد ان قتل إنسان ، في بعض الأحيان ، يعتبر عملاً نبيلًا .

فأومأ بوارو برأسه وقال .

- هذا ما يبدو أحياناً وما أثبتته التاريخ !

- وهذا ما شعرت به أنا وريوند في تلك الليلة . ولكننا لم ننفذ أقوالنا .. نعم ، لم ننفذها بطبيعة الحال . فحين أشرقت شمس الصباح ، بدت لنا أقوالنا غريبة شاذة مضحكة ! بل وشريرة أيضاً . أجل يامسيو بوارو لقد ماتت أمنا ميتة طبيعية جداً بسبب مرض القلب ، وليس لي أو لريوند أي يد في موتها .
فقال بوارو بهدوء :

- هل تقسمين يا آنسة أمامي بأن موت والدتك لم يتسبب عن أي تصرف منك ؟

فرفعت كارول رأسها وقالت بصوت ثابت عميق :

... أقسم بالله إني لم أسيء إليها يوماً .

فتراخى بوارو في مقعده وقال :

هكذا الأمر إذن ؟

وبغثة أردف قائلاً :

- ما هي الخطة التي فكرتما في اتخاذها لقتل مسز بوفتون ؟

- لم تكن لدينا أية خطة ، ولم نصل بتفكيرنا لهذا الحد

فنهض بوارو وقال :

- هل تسمعين بارسال أخيك يا آنسة ؟

ونفضت بدورها وقالت مترددة :

- هل صدقتني يا ميسو بوارو ؟

- هل يبدو عليّ إني لا أصدقك ؟

-- لا .. ولكن .

ثم استدارت ومضت إلى الباب .. وهناك توقفت ونظرت إلى بوارو

ثم قالت :

- لقد أخبرتك الحقيقة كلها .

فلم يحب بوارو ..

فانصرفت هي من الغرفة ببطء .

لاحظ بوارو الشبه الكبير بين ريموند وأخته كارول .. وكان الشاب عند دخوله يبدو ثابت الجنان ، متالك الأعصاب ، وبعد ان جلس في مقعده حملق في وجه بوارو وقال :

— حسنًا !

فقال بوارو يهدوء :

— هل تحدثت أختك معك ؟

— نعم حين طلبت مني ان آتي اليك . ومن حقك طبعاً أن ترتاب في أمرنا بعد ان سمعت حديثنا في الملك الليلة . لكنني أؤكد لك أن هذا الحديث كان حلم ليلة صيف . لا أكثر . لقد كنا نعاني من إرهاق عصبي عنيف ، وكان الحديث عن قتل زوجة أبينا مجرد تخفيف عن حالتنا العصبية فقط .

— هذا محتمل جداً .

— وفي الصباح بدت لنا أقوالنا مضحكة ، وأقسم لك يا مسيو بوارو انني لم أفكر في هذا الشأن بعد ذلك

ولما لم يقل بوارو شيئاً تابع ريموند قائلاً :

— أوه ! نعم .. إن من السهل على أي إنسان أن يقول هذا . أن يقول انه بريء ، وانه لم يفكر في إيذاء أحد . وأنا لا أتوقع أن تصدقني بلا دليل

يؤيد أقوالي .. ولكن عليك ان تراعي هذه الحقائق . لقد تحدثت مع أمي قبل السادسة بقليل ، وكانت على قيد الحياة عندئذ . ثم دخلت خيمتي واغتسلت ثم انضمت إلى الجميع في حديقة الاستراحة ، وبقيت فيها مع كارول أمام الجميع دون أن نتحرك من مكاننا حتى سمعنا نباح وفاتها . اني أؤكد لك يا مسيو بوارو ان وفاتها كانت طبيعية ، ولا يمكن ان تكون غير هذا . لقد كان المكان مليئاً بالعمال العرب الرائحين والغادين

- هل تعرف يا مستر ريموند ان مس ساره تؤكد ان زوجة أببك ماتت قبل ساعة ونصف على الأقل من السادسة والنصف حين اكتشاف وفاتها . أي أن موتها كان في الخامسة مساء على الأقل .

- فحصلت ريموند في وجهه مصموقة ثم قال :

- هل أخبرت ساره هذا ؟

- نعم ، فما رأيك ؟

- ولكن .. لكن هذا مستحيل .

- هذه هي شهادة مس ساره كنج . وها أنت الآن تأتي وتخبرني بأن زوجة أببك كانت على قيد الحياة ، قبل أربعين دقيقة من اكتشاف وفاتها ؟

- ولكنها كانت كذلك ؟

- كن حريصاً في أقوالك يا مستر ريموند .

- لا شك أن سارة أخطأت التقدير ، لا بد ان هناك عوامل أخرى أغفلتها ، مثل انعكاس الحرارة على الصخور أو شيء من هذا القبيل . إنني أؤكد لك يا مسيو بوارو أن أمي كانت على قيد الحياة قبل السادسة بقليل وإنني كلفتها ..

ولما لم يقل بوارو شيئاً لمخفى ريموند إلى الأمام وقال :

- أتثير يا مسيو بوارو كل هذه الشكوك لأنك سمعت ذات ليلة حديثاً

مضحكاً دار بين أخ وأخته يعانيان من إرهاق عصبي !
فهمز بوارو رأسه وقال :
— انك مخطيء في هذا يا ريموند ، هناك شيء آخر أهم هناك السم الذي
أخذت من حقيبة أدوية الدكتور جيرار .

فحملق ريموند في وجهه وقال :

— سم !

ثم نهض وأزاح الكرسي بعيداً عنه وأردف قائلاً :

— أهذا ما ترتاب فيه ؟

— هل خطتك تختلف عن هذه ؟

فقال ريموند بلا حرص :

— أوه .. نعم ! إن هذا يغير كل شيء .. إنني لا أستطيع أن أركز

تفكيرى في شيء الآن .

— ماذا كانت خطتك؟

— خطتنا ؟ كانت ..

وأمسك ريموند عن الحديث بغتة وقد التزم جانب الحذر ثم قال :

— أعتقد انني لن أقول شيئاً أكثر مما ذكرت .

— حسناً ، كما تشاء .

ثم راح يرقب الشاب وهو ينصرف من الغرفة .

وأخيراً تناول المفكرة وراح يكتب فيها بخط دقيق أنيق هذه الكلمات :

ريموند بونتون : الساعة ٥,٥٥ بعد الظهر

ثم تناول ورقة كبيرة وراح يدون فيها شيئاً . فلما فرغ تراجع في مقعده

وراح يتأمل ما دونه .. وكان كما يلي :

غادر آل بونتون والمستر كوب الخيم في الساعده ٣,٥ تقريباً .

غادر الدكتور جيرار ومس ساره كنج الخيم في الساعة ٣,١٥ تقريباً .

غادرت اللبدي وستولم ومس بيرس الخيم الساعة ٤,١٥
عاد الدكتور جبرار في الساعة ٤,٣٠ تقريباً .
عاد لينوكس في الساعة ٤,٣٥ تقريباً .
عادت نادين الى الخيم وتحديث مع مسز بونتون في الساعة ٤,٥٠ .
عاد ريموند إلى الخيم في الساعة ٥,٥٠ .
عادت ساره كنج الى الخيم في الساعة ٦,٠ .
إكتشاف الوفاة في الساعة ٦,٣٠ .

طوى بوارو هذا الجدول ثم أمر باستدعاء المرشد السياحي محمود ، فأقبل هذا بحسبه المتين فابتدره بوارو بقوله :

- ماذا كنت تفعل مع عمالك في الساعة الخامسة والنصف ، مساء يوم الوفاة ؟

- الساعة الخامسة والنصف ؟ لم يكن أحداً يعمل شيئاً . لقد أعددتنا الغداء في الثانية ، ثم رفعنا بقاياها في الثالثة إلا رباعاً تقريباً ، وقام جميع السائحين بعد ذلك أو على الأقل دخلوا خيامهم . وفي الساعة الخامسة خرجت إلى حديقة الاستراحة لأشرف على مطالبهم وأقدم الشاي لمن يريد منهم . ولكنني لم أجد أحداً . كانوا جميعاً قد خرجوا للنزهة في الجبل وسررت بهذا ، وعدت إلى خيمتي ، لأستأنف النوم .

وفي الساعة السادسة إلا رباعاً بدأت المتاعب .. لقد عادت السيدة الانجليزية وطلبت إعداد الماء الساخن لها لكي تصنع إبريقاً من الشاي ، هذا بينما كان العمال يجهزون المائدة للعشاء . وقد أثارت ضجة كبيرة عن مياه الشرب قائلة ان هذه المياه يجب ان تغلى قبل تناولها ، وإنني يجب أن أشرف على هذا بنفسى .

— لقد علمت ان مسز بونتون قبل وفاتها كانت غاضبة على أحد العمال ،
فهل تعرف من هو العامل الذي أثار غضبها ؟
— ومن أين لي أن أعرف ؟. إن السيدة المعجوز ، لم تشك
العامل إلي ..
— ألا يمكنك ان تتحرى وتعرف من هو ؟
— لا يا سيدي .. هذا مستحيل ، لأن العمال لن يعترفوا لي الآن بارتكاب
أي خطأ .. أتقول ان السيدة المعجوز كانت غاضبة ؟ حسنًا . من الطبيعي
أن يحاول العامل المخطيء أن ينكر كل شيء .

كانت سارة كنج جالسة على ربوة تقتطف ، وهي مشغولة الفكر ، ببعض الأزهار القريبة منها .
وأقبل الدكتور جيار وجلس يحوارها فلما شمعت به ، قالت له بلهجة حادة :

- لماذا أثرت كل هذه المشكلات ، يا دكتور جيار ؟. فاولا أقوالك ..

فقاطعها الدكتور جيار قائلا ببطء :

- هل كنت تفضلين أن التزم السكوت ؟.

.. لقد كنت محموماً . حرارتك مرفعة جداً ، وهذا يعني انك لم تكن في حالة تجعل تفكيرك واضحاً وصافياً .

ومن المحتمل ان يكون موجوداً في مكانه دون ان تراه طيلة الوقت .
ولعلك قد اخطأت في تقدير كمية عقار الديجيتوكسين الذي كان لديك ،
او لعل أحد العمال عبث به .

فقال جيار في لهجة واقعية :

- لا داعي لهذا القلق .. إن الأدلة ضعيفة ، وغير واقعية .
وسوف ترين بنفسك ، كيف سينجو اصدقائك ، من آل بوننتون ، من

العقاب .

فهمت ساره بعنف :

.. أترى ؟ إن احداً لم ينج منها في النهاية احق وهي في قبرها لا تزال
تمسك بهم !

لقد كانت رهيبة في حياتها .. ورهيبة في موتها .. وإني لأشعر انها
الآن تستمتع بما يعالونه من اجلها .

وبغثة قالت بصوت مختلف اللمجة تماماً :

— هوذا الرجل القصير الأصلع مقبل نحونا

فأجاب جيرار :

— إنه المسيو بوارو ، لعله آت للبحث عنا .

فلما وصل بوارو اليهما ، مسح جبينه وقال لاهثاً :

— يا لهذه البلاد الصخرية .. مسكين حذائي .

فردت ساره بلارحة :

— يمكنك ان تستعير ، ادوات تنظيف الأحذية ، من الليدي

وستولم ا .

فهمز بوارو رأسه وقال :

— ان ادواتها لا تستطيع ان تزيل الحدوش ا

— ربما .. ولكن لماذا ، بحق السماء ، ترتدي حذاء ثميناً في منطقة

صخرية كهذه !

— اني احب ان ابدو دائماً في احسن مظهر ..

فسأله ساره بسخرية :

— حق في المناطق الصحراوية ؟

فقال جيرار :

— ان النساء لا يكن في احسن مظهر بالمناطق الصحراوية .. فرغم

ان المس كنج تبدو انيقة ونظيفة دائما ، فإن الليدي وستول لا تبدو كذلك بملابس الركوب الخشنة . يا لها من امرأة رهيبة المنظر ! وقلك المسكينة مس بيرس ، إن ملابسها دائما مسترخية ، كأوراق الكرنب الذابلة ..

حق مسز فاهين بونتون التي تتمتع بحمال باهر ، لا تبدو أنيقة ، إن ملابسها لا تلفت الأنظار إعجاباً

فردت سارة في لهجة لا تخلو من التهم :

— أعتقد أن المسيو بوارو ، لم يصعد إلينا ، ليتحدث عن الملابس النسائية ؟

قال بوارو :

— صدقت ! لقد جئتكم لاستشير الدكتور جيرار . إن لأرائه قيمتها الكبيرة في نظري ، وكذلك آراؤك يا مس كنج . إنك شابة وعلى إلمام بأحدث نظريات علم النفس .. إنني أريد ان أعرف كل ما يمكن عن مسز بونتون .

فردت ساره :

. ألم تعلم الآن كل شيء عنها ؟

قال بوارو :

— هناك أشياء ما زلت أجهلها .. فشلا : ما هو السبب الذي جعل المسز بونيون تقوم بهذه الرحلة ، مع علمها بأن رحله كهذه ، قد تفتح في أذهان سبنانها آفاقا جديدة ، وتجعلهم يفكرون جدياً في التمرد عليها !

فابتسم الدكتور جيرار وقال

— إن تفسير هذا الموقف بسيط جداً . إنه تابع من الملل .. لقد مللت مسز بونتون حياتها ، بعد أن نجحت تماماً في إخضاع أفراد

أصرتها لإرادتها ..
ولهذا رأت أن تغزو ، مثل الاسكندر ، آفاقاً جديدة تمارس فيها
نزعته نحو السيطرة
ومن ثم فكرت في هذه الرحلة ، وهي تعلم ان سجنائها سيعاولون التمرد
عليها ، وهذا سيتيح لها لونا من الصراع المثير من أجل إعادتهم الأقفاص ، تماماً
كما تفعل مروضة الوحوش .

فتنهذ بوارو بعمق وقال :
- صح . صح .. هذه هي الحقيقة الكاملة ، وإن كل شيء يتفق معها
وإن الأم قد دفعت الثمن في النهاية .
فانحنى ساره إلى الأمام وردت :
- هل تعني أنها زادت في قسوتها على ضحاياها حتى دفعتهم أو دفعت
أحدهم إلى افتراسها ؟
فلو ما بوارو برأسه
ثم سألته :
- من هو ؟ أو هي ؟

ولم يجب بوارو ، وإنما راح يركز نظراته ، على فتاة تسير يجوار
الربوة ..

كانت تسير بخطوات رشيدة خفيفة ، وقد عكس شعرها الذهبي ضوء
الشمس وبدت على شفيتها إبتسامة حاملة

فتنفس بوارو بعمق وقال :
- ما أجملها ، وما أجمل وجهها الحالم وخطواتها الرشيدة . هكذا يجب
أن تمثّل أوفيليا في المسرح ..
مثل إلهة شابة تسير في عالم غريب ، وقد امتلأت بالسعادة لتحررها من
آلام البشر !

وقال جبرار :
-- صحيح ، صحيح .. إنك على حق ، إنه وجه يحلم به الانسان ،
اليس كذلك ؟
لقد حلمت به وأنا أعاني الحمى في خيمتي بمنطقة بئرا ، لقد فتحت عيني
لأرى هذا الوجه الحالم والبسمة العذبة ، ما أجمله حلم ، وعندما صحت
شعرت بالأسف .
ثم اردف وقد استرد هدوءه :
- إنها جنيفرا بونتون .

بعد لحظة كانت الفتاة قد وصلت اليهم
فقام الدكتور جيرار بمهمة التعارف ، فنظرت جنيفرا باهتمام إلى بوارو
الذي قال لها برفق :

— هل تتكرمين بالسير معي قليلا يا مس جنيفرا ؟
فسارت بوداعة معه ، فلما ابتعدا قالت له بغتة :
— انك مفتش مباحث خاص اليس كذلك يا مسيو بوارو ؟

— صح ، ومشهور جداً .
— أشهر مفتش مباحث في الدنيا .. ولا شك إنك جئت الى هنا
لحمايتي .
— هل أنت في خطر يا آنسة ؟

— صح ، فقد أخبرت الدكتور جيرار في مدينة القدس انني لست
أحد أفراد أسرة بونتون ، إلى أميرة ملكية متخفية ، وكان بارعا إذ أخفى
حقيقته عني ، لكنه تبعني إلى مدينة الصخور الحمراء ليتولى حمايتي ، إنهم
يريدون قتلي ، ولهذا يجب ان أتخذ جانب الحذر دائما .

فأوما بوارو برفق وقال :
— أهكذا ؟

... نعم ، ولكن الدكتور جيار إنسان طيب القلب ، انه يحبني
بكل جوارحه .
- يحبك ؟

- نعم ، كان يذكر اسمي في لومه ، لقد رأيته هناك .. في خيمته
يتقلب ويذكر اسمي .. وتسالت بخارجة .. وكنت أظن انه استدعاني
إن أعدائي كثيرون ، وهم حولي في كل مكان .. وبعضهم يتنكرون في
ملابس غريبة الشكل !
- أين كنت يا مس جنيفرا بعد ظهر يوم الوفاة ؟

- في خيمي . وكان الجو حاراً داخلها ، ولكني لم أجرو على الخروج
خوفاً من ان يقتلوني .
ثم ارتعدت وارتدفت قائلة :

-- لقد أطل واحد منهم برأسه الى داخل خيمي ، وكان متنكراً
في ملابس العرب .. وتظاهرت بالنوم .. وكان هذا الشيخ يريد أن
يختطفني ..

وسار الاثنان فترة بسكوت

وأخيراً قال بوارو :

- ان أقاصيصك هذه بارعة جداً .

فضربت الأرض بقدمها وردت غاضبة :

. هذه ليست أقاصيص يا مسيو بوارو ، انها حقائق .

ثم استدارت وانطلقت بعيداً عنه هابطة التله .

وبينما كان بوارو يشيعها بنظراته ، سمع وراءه صوتاً يقول :

-- ماذا قلت لها !

وكان المتحدث هو الدكتور جيار ، وكانت ساره في طريقها اليهما وبعد
ان .ار الثلاثة برهة ، قال بوارو مجيباً :

- أخبرتها انها تصورت لنفسها اقايصيص جميلة .
- ويبدو انها غضبت ا ان غضبها هذا قال حسن .. انه يدل على
انها لم تفقد عقلها تماماً ، وأعتقد اني سأستطيع علاجها ، والأخذ بيدها
الى الشفاء .
- آه ! انك ستتولى علاجها إذن .

- صح .. لقد تحدثت في هذا الشأن مع المستر لينوكس وزوجته .
وستحضر جنيفرا الى باريس وقدخل احدى المصحات التي أشرف عليها .
وبعد ذلك سنلحقها بمعهد للتمثيل .
- التمثيل ؟

-- نعم ، انها ستنجح في هذه المهنة نجاحاً عظيماً ، لأنها في الواقع قد
اخذت عن أمها حب السيطرة والطموح ، والتمثيل على المسرح هو المنفذ
الوحيد للتخفيف من هذا الشعور ، انها على المسرح تستطيع ان تتقمص أية
شخصية تنمى ان تكونها .
وبعد ان فرغ من حديثه المحنى واستأذن للانصراف ، عندئذ قالت ساره
لبوارو بعد ان سارا معاً برهة :

- اني لا أتفق معه في أنها اخذت عن أمها تلك الصفات الرهيبة ، وذلك
رغم اني شعرت نحو تلك المرأة بالمطف يوماً .
- احقاً ؟ متى كان ذلك .

- في القدس ، في هو الفندق ، فقد شعرت فجأة انها افسانة جديدة
بالمطف والاشفاق ، وخيل الي أن من واجبي ان أترفق بها واجعلها تشعر
بما في النفس البشرية من خير .
فلما ذهبت اليها ، وتحدثت معها ، لمحت الليدي وستولم جالسة بالقرب
منا ، وخطر لي انها تسمع حديثنا .
وعندئذ ، انتابني الحجل والارقبالك .. وشعرت انني ارتكبت أكبر

حماقة ..

- هل تتذكرين الكلمات ، التي قالتها لك المسز بونتون في ذلك
الحين ..

- أعتقد هذا .. كانت كلمات غريبة ، وان غرابتها هي التي جعلتني
أذكرها ..

لقد قلت لي وهي تحملق فيا ورائي :
« اني لا أنسى أبداً ، تذكرني هذا ؛ اني لا أنسى قط شيئاً ولا تصرفاً
ولا اسماً ولا وجهاً ، »

وارتعدت ساره وارذفت قائلة :
- كانت تقول هذه العبارة بلمهجة كلها الشر .. واني لأكاد أسمع
صوتها الآن .

فنظرت اليه فجأة وسألته :
- مسيو بوارو .. هل وصلت في تحرياتك الى شيء معين .
- نعم
- ماذا .

- عرفت مثلاً ان ريوند كان يتكلم مع اخته كارول ، في تلك الليلة
بالقدس ..

- هل .. هل أخبرته .
فنظر اليها طويلاً ثم قال :
- هل يملك الأمر يا مس كنج .
- جداً ، ولكنني اريد ان اعلم .

- لقد أخبرته فعلاً ، ولكنه قال ان حديثه كان نابعاً من توتره العصبي ،
وانه نسي كل شيء في الصباح ، والآن هل يمكن ان تخبريني يا مس كنج
ماذا يخفيك في هذا الأمر .

وساد السكوت برهة ثم ردت :
- في عصر ذلك اليوم .. كنت معه .. مع ريموند في الجبل .. وقد
صارح كل منا الآخر بحبه وقال لي أنه يجب أن يفعل شيئاً قبل أن
تخونه شجاعته ، وقد فكرت انه يعني الرغبة في مصارحتها بحبه لي ..
ولكن .. لنفرض انه كان يعني ..
ثم ساد السكوت فجأة ..

* * *

خرجت نادين من فندقها بمدينة عمان . وعندئذ التقت بالمستر كوب الذي
كان واقفاً في انتظارها ، وقد قال لها :
- هل نتمشى قليلاً يا نادين ؟
ولما وصلا إلى الربوة المكسوة بالأزهار ، قالت له فجأة :
- إني آسفة يا مستر كوب ، أريد ان أصارحك بأمر خطير ..
- طبعاً .. طبعاً يا عزيزي ، قولي ما تريد ، دون أن تشقي على
نفسك .
وبعد تردد وجيز قالت :

- إنك إنسان طيب القلب يا جيفرسون ، وصبور ، وقد عاملتك
معاملة سيئة ..
فقاطعها قائلاً :
- أرجوك يا نادين . لا داعي لأن تزعجي نفسك بشأني . إني أعلم ماذا
تريدن ان تقولي . لقد تغيرت الأحوال الآن ، وأشعر أن في مقدورك أن
تستأنفي حياة سعيدة مع زوجك . اليس كذلك ؟

فانظرت اليه متشكرة ثم ردت :
- صحيح يا جيفرسون .. إنني لن أستطيع التخلي عن اينوكس .. فهل
تغفر لي ؟
- لا شيء يستحق ان أغفره لك . ولكن يكفي أن نستمر
صديقين حميمين ، كما كنا ، وما عليك إلا ان تلمسي حديشنا ، في عصر
ذلك اليوم .
فوضعت يدها على ذراعه في رفق ثم ردت :
- شكراً لك يا عزيزي جيفرسون .. سأذهب الآن لأتحدث إلى
زوجي ..

التقى بوارو أثناء عودته إلى الفندق بمس بيرس ، التي اندفعت تقول
بجهاش :

— لم أعرف إلا في هذا الصباح انك مسيو هيركيول بوارو المشهور ،
فقد قرأت الكثير عنك يا سيدي . ولشد ما تمنيت ان أقابلك لأخبرك
بما شاهدت . إن الإنسان يجب ألا يفغل عن أي شيء ولو كان بسيطاً
في مثل هذه الظروف . أقصد ظروف تحرياتك عن وفاة مسز بونتون
المسكينة ، تصور ان ابنتها الصغرى تعتقد أنها أميرة من بيت مالِك !
يا للعجب ماذا كنت أقول ا . نعم ، لا بد ان مسز بونتون قتلت وإلا لما اهتممت
بالأمر . لا شك في هذا .

فقاطمها قائلاً :

— حسناً ، حسناً .. يا مس بيرس . ماذا تريد ان تقولي لي ا

— إن ما رأيته ليس بالأمر الخطير . ولكن من واجبي أن أخبرك به .
لقد صحت في الصباح التالي ليوم الوفاة مبكرة أكثر من المعتاد ..
وانتهزت هذه الفرصة لأتقنع بشروق الشمس ، وأنت تعرف ان الشروق
في هذه المناطق .

— نعم .. نعم ، وماذا شاهدت ا

- فوجئت برؤية إحدى إبنتي آل بونتون تلقي بشيء إلى الجدول وليس في هذا ما يثير الانتباه ولكن هذا الشيء كان يلعب ..
- أي الابنتين !

- أعتقد انها التي يدعونها كارول .. وربما كانت الصغرى .. لقد كان ظهرها إلي ، والشمس في عيني . ولكن الصغرى شعرها ذهبي يميل إلى الاحمرار ، بينما شعر كارول ذهبي يميل إلى الاصفرار .. ولهذا أرجح أنها كارول .
- رأيتهما تلقي بشيء يلعب !

- نعم ، ولم أهتم بالأمر . ولكني حين سرت على ضفة الجدول بعد ذلك ، شاهدت المس كنج هناك .. وشاهدت أيضاً بين المخلفات على الضفة صندوقاً معدنياً صغيراً ، أدركت انه هو الذي اقتنه المس كارول الى الجدول .. إنه صندوق معدني من النوع الذي يحتفظ فيه بالحقن الزجاجي ورأيت ان أتناول الصندوق لأرى ما بداخله .. وقد وجدت الحقن فيه سليماً غير مكسور .. فتملكني العجب طبعاً ، ولكن المس كنج تحدثت ورائي ، فلم أشعر بها وهي آتية .. وذكرت ان هذا الحقن يخصها وانها جاءت تبحث عنه ، ثم أخذته وانصرفت .

واستطردت مس بيرس تقول :

- ولم أهتم كثيراً بالأمر ، وان كنت قد تساءلت في نفسي عن السبب الذي يجعل مس كارول تقذف بحقن المس كنج الى الجدول ، ليسقط على الضفة الأخرى بين النفايات . ان هذا التساؤل هو الذي جعلني أخبرك بالأمر .

- شكراً جزيلاً ، يا مس بيرس .. فقد زودتني بالحلقة الأخيرة التي أستكمل بها سلسلة تحرياتي . لقد أصبح كل شيء الآن ، واضحاً كل الوضوح .

فتمتعت مس بارس في بهجة التلميح السعيد :

... أحقاً ! ما أسعدني بهذا .

وبعد ان صاحبها الى الفندق ، وقف برهة يدون في ورقة معه :

— انني لا أنسى .. تذكرني هذا . انني لا أنسى قط ،

شيئاً و ..

ثم أردف قائلا لنفسه :

— نعم . . ان كل شيء أصبح واضحاً الآن .

أتم بوارر استعداداته لمواجهة جميع الذين قدور حولهم شبهات ارتكاب الجريمة . . رقد اتخذ من احدى غرف الفندق ما أسماه مسرحاً للفصل الأخير ، وفي جانب من هذا المسرح جعل افراد اسرة بونتون يجلسون معاً : ريموند و كارول ، ولينوكس وفادين ، وجنيفرا . وفي الجانب الآخر جعل ساره والطبيب جيرار والمستر سكوب يجلسون معاً . وأمامهم جميعاً جلس الكولونيل كاربري .

أما هو فقد وقف وقال لهم بعد ان تكامل جمعهم :

— أيها السيدات والسادة ، ان اجتماعنا هذا ليس له أية صفة رسمية ، وكل ما في الأمر ان الكولونيل كاربري شرفني وطلب مني العمل على معرفة الحقيقة عن وفاة مسز بونتون .

وهنا قال لينوكس بحدة :

.. ولماذا كل هذه الضجة والوفاة طبعية ا

فقال الكولونيل كاربري :

كان كل شيء يدل على ان الوفاة طبيعية فعلاً . . الرحلة الشاقة وإجهاد مسز بونتون ، ومرضها بالقلب وكبر سنها . ولكن الدكتور جيرار قطوع ببلاغ في صبيحة اليوم التالي عن وفاة مسز بونتون قال فيه أن كمية من

عقار شديد المفعول أخذت من حقيبة أدريته ، وأن محققاً أخذ في يوم
الوفاة من حقيبته ثم أعيد إلى مكانه في أثناء الليل أو في الصباح ،
كما لوحظ على معصم السيدة المتوفاة ، علامة ناشئة من وخز إبرة
محقن طبي ..

وخيم على الجميع صمت عميق بحيث لم يسقط في الغرفة إبرة لسكان لها
رنين مسموع ..

والتقط بوارو حبل الحديث وقال :

- وأخبرني الكولونيل كاربري بشكوكه ، ولكنني صارحته بأني قد
أعجز عن إقامة الدليل الكافي لإدانة الجاني أمام المحكمة ، إلا أن هذا لا
يمنع من إظهار الحقيقة كاملة عن هذه الوفاة .. وذلك ، ببساطة ،
عن طريق توجيه الأسئلة ، إلى الأشخاص الذين كانوا مع المسز
بونتوت .

وأحب أن أذكر لكم الأصدقاء ، أن أفضل طريقة لكشف غوامض
جريمة ما ، هي جعل المتهمين أو المراقب في أمرهم يتحدثون ، وفي النهاية لا بد
أن يكشف أحدهم أمر نفسه .

وبعد برهة سكوت قال مستطفاً :

- لقد فكرت أولاً في احتمالات وفاة مسز بونتوت وفاة طبيعية . وفي
النهاية قررت أن الوفاة لم تكن طبيعية بأي حال . إن ضياع المحقق ، ثم
موقف أفراد الأسرة من السيدة المتوفاة ، أكد لي أن هناك جريمة قد
ارتكبت ، لا عن عمد وإصرار فحسب ، وإنما كل فرد من أسرة الجاني عليها
كان يعرف أنها مانت مقتولة ، وإن الجميع تصرفوا معاً ، على هذا
الأساس .

واستأنف بوارو حديثه وهو ينظر إلى الجميع :

- إن هناك حافظاً قوياً لارتكاب الجريمة ، وهو المال إن كل فرد من

الأميرة سيستفيد من موتها ويرث ثروة طائلة . هذا عدا تحرر أفراد الأسرة كلهم من طغيانها واستبدادها بهم . وقد خُطِرَ ببالي أولاً أن جميع أفراد الأسرة مشتركون في ارتكاب هذه الجريمة ، لأن أقوالهم كانت متناقضة وتدل على أنهم يخفون شيئاً ما . ولكنني رأيت أن أنظر أولاً في احتمال أن يكون أحدهم فقط هو الذي ارتكبها ، وأن الباقين تستروا عليه . وكان بديهيّاً أن تتجه شكوكي مباشرة إلى الشخص الذي سمعته بأذني ذات ليلة في القدس يدير أمر قتلها .

وبعد أن ذكر بوارو ما سمعته في تلك الليلة بالقدس ، إستطرد قائلاً :

— هذا الشخص هو ريموند بوننتون .

وفتح ريموند شففيه ليقول شيئاً ، لكنه آثر التزام الصمت ، أما بوارو فقال وهو ينظر في ورقة بيده :

— وقبل أن أستطرد في سرد أدلتي ضد ريموند ، أحب أن أقرأ عليكم هذه النقاط العشر التي لها دلالاتها ، والتي أطلعت عليها الكولونيل كاربري هذا اليوم .

هذه النقاط هي :

- ١) كانت مسز بوننتون تتناول دواء من مركبات الديجيتالا .
- ٢) فقد الطبيب جيران محققاً .
- ٣) كانت الضحية تستمد سعادتها من حرمان أفراد أسرتها من الاتصال أو التعارف بالغير .
- ٤) شجعت الضحية ، في عصر ذلك اليوم المذكور ، أفراد أسرتها على الخروج للنزهة في الجبل بدونها .
- ٥) كانت الضحية سادية التفكير .
- ٦) المسافة بين حديقة الاستراحة والمكان الذي كانت الضحية جالسة فيه

تبلغ مائتي ياردة « تقريباً » .
(٧) قال المستر لينوكس في أول الأمر انه لم يعرف متى عاد إلى الخيم ، ثم اعترف بأنه ضبط ساعة يدها على الوقت المحدد .
(٨) كانت خيمة جنيفرا يقرب خيمة الطبيب مباشرة .
(٩) في الساعة السادسة والنصف ، بعد ان تم إعداد الطعام أرسل أحد العمال لاستدعاء الضحية .
(١٠) قالت مسز بونتون في القدس هذه العبارة « اني لا أنسى أبداً ذكرى هذا ، اني لا أنسى شيئاً أبداً » .

ورغم اني وضعت هذه النقاط مفردة إلا اني أستطيع في بعض الأحيان أن أتناول كل نقطتين معاً . مثلاً النقطتان الأوليان « كانت مسز بونتون تتناول دواء من مركبات الديجيتالا » « فقد الطبيب محقناً » ، فقد أثارت هاتين النقطتان شكوكي منذ اللحظة الأولى . وسوف أعود إلى الحديث عنهما فيما بعد ولكنني سأفرغ الآن من دراسة الاحتمالات التي تجعل من ريموند المتهم الأول . وهذه هي الحقائق التي يمكن وضعها ضده : فقد سمعته يتحدث مع أخته كارول عن خطة لقتل زوجة أبيه وكان في حالة توتر عصبي شديد كما كان قد مر في ذلك اليوم بلحظة من اللحظات العاطفية القوية .

وهنا توقف بواردو عن الحديث فالتحفى لمس ساره وقال لها :
- معذرة يا مس كنج .

ثم استأنف حديثه قائلاً :

أعني ان ريموند في ذلك اليوم كان قد وقع في شرك الحب . وكان من الممكن أن تدفعه نشوة هذه العاطفة الجديدة إلى اتخاذ أكثر من موقف واحد كان من الممكن ان تهدأ مشاعره وترق نحو العالم كله بما فيه زوجة أبيه ، او ان يستمد من هذا الحب الشجاعة لتحدي زوجة أبيه والتحرر من سيطرتها وسلطانها ، او أن يحدد في الحب حافزاً إضافياً يدفعه لارتكاب الجريمة . هذه

كلها جوانب نفسية ، أما الحقائق فهي :

- ١) غادر ريموند المخيم مع الآخرين في الساعة الثالثة والرابع تقريباً .
- ٢) وكانت أمه على قيد الحياة وفي حالة طيبة .
- ٣) تحدث مع ساره كنج ، أثناء النزلة ، حديثاً عاطفياً خاصاً . ثم انصرف عنها .
- ٤) عاد إلى المخيم بناء على أقواله في الساعة السادسة إلا عشر دقائق .
- ٥) مضى إلى زوجة أبيه وتحدث معها قليلاً ، ثم هبط إلى حديقة الاسراحة .
- ٦) يقول ان زوجة أبيه كانت على قيد الحياة في الساعة السادسة إلا عشر دقائق .

ولكننا نعلم الآن حقيقة أخرى تناقض تلك الحقيقة الأخيرة ، ذلك أن مس كنج ، وهي طبيبة مؤهلة على استعداد لان تقسم ان مسز بونتون كانت ميتة قبل السادسة والنصف بأكثر من ساعة ونصف على الأقل . وعلى هذا ، نجد أمامنا قولين متناقضين . فإذا افترضنا ان المس كنج لم تخطئ

وهنا قاطعته ساره قائلة .

اني لم أخطئ ، ولو اني أخطأت في تقديري لاعترفت بخطأي .

فالحق بوارو أمامها إعجاباً وقال :

إذن هناك احتمالان لا ثالث لهما . إما ان تكون مس كنج كاذبة في تقريرها او ان يكون ريموند كاذباً في أقواله .

ولنتناول الآن الأسباب التي تدفع ريموند إلى الكذب على افتراض أن مس ساره لم تخطئ ولم تكذب . فقد عاد ريموند إلى المخيم وذهب إلى زوجة أبيه فوجدها ميتة ، فماذا فعل ؟ هل استغاث ؟ هل ذهب فوراً وأخبر الجميع بموتها ؟ لا . فقد وقف بجانبها متظاهراً بالحديث معها لحظة أو لحظتين ، ثم

مر بخيمته وهبط إلى حديقة الاستراحة دون قول شيء. ولا شك ان مثل هذا التصرف يدعو للدهش ، اليس كذلك ؟

فقال ريموند بحدة :

— انه امر مضحك ، لا شك ان مس ساره كانت مخطئة في تقريرها بسبب الظروف القاسية التي مررت بها.

فاستطرد بوارو يقول متجاهلا الاعتراض :

— إن المرء يتساءل : هل هناك سبب يبرر هذا التصرف : الظاهر ، كما يبدو ، ان ريموند لا يمكن ان يكون جانبا ما دامت أمه كانت ميتة فعلا حين ذهب اليها لأول مرة بعد ظهر ذلك اليوم. فإذا افترضنا انه برىء فما معنى تصرفه ؟ وما معنى قوله ان أمه كانت على قيد الحياة حين ذهب اليها ، بينما كانت في الواقع ميتة ؟

وصمت بوارو برهة ثم استطرد يقول :

— ان التفسير الوحيد لهذا التصرف هو ظنه بأن أخته كارول نفذت خطة القتل بدلا منه .

فصاح ريموند مرتجفا :

— هذا خطأ .

فاستأنف بوارو حديثه قائلا :

— ولننظر الآن في الاحتمالات التي تجعل كارول هي موضع الاتهام .. فما هي الأدلة ضدها ؟ إنها مثل أخيها كانت تعاني من قسوة زوجة أبيهم— ، وكانت مثله قد بلغت أقصى حالات التمرد ، ولذا اشرتكت معه في تدبير خطة للقضاء عليها باعتبار ان قتل مثل تلك المرأة الشريرة عمل بطولي .. فقد عادت كارول المخيم في الخامسة وعشر دقائق ، وذهبت للحديث مع أمها هذا ما تقوله هي ، ولكن أحدا في المخيم لم يرها ، كانت العمال ثائمين ، وكانت الليدي وستول ، ومس بيرس ، ومستر كوب يشاهدون

منطقة أثرية بميدة ومعنى ذلك ان الفرص كانت متوافرة جداً لكي تنفذ كارول غرضها .

وهنا رفعت كارول رأسها ونظرت في ثبات وحزن إلى بوارو الذي تابع يقول :

- وفي صباح اليوم التالي ، شوهدت كارول وهي تقذف بعلمبة محقن في الجدول :

وعندئذ قال الطبيب جبرار في دهشة :

- كيف يمكن ذلك ، وقد عثرت على محقني بالحنية في ذلك الصباح ؟
- نعم ، نعم ، ولكنني فهمت من أقوال الشاهدة التي رأت كارول ترمي بالمحقن انه نملك مس ساره اليس كذلك يا مس ساره ؟

وقبل ان ترد ساره اسرعت كارول قائلة :

- إن المحقن لم يكن ملكها إنما ملكي أنا .
- إذن فأنت تعترفين انك قذفت به الى الجدول ؟

- صح ، طبعا ، ولماذا أنكر ؟ ولكنني لم .. لم ألمس العقار السام .
وعندئذ قالت سارة :

- إن المحقن ملكي أنا يا ميسيو بوارو ، وهذا ما قلته للمس بيرس في ذلك الصباح .

فقال بوارو :

- إن الأقوال المتعارضة تملأ النفس بالحيرة والتساؤل ، ولكن من الممكن تفسير هذا التناقض . إني الآن ، بدافع الانصاف ، سأفترض ان كارول بريئة ، فما هي الأدلة على براءتها ؟ فقد عادت من نزهتها الجبلية للمخيم ، وذهبت للحديث مع زوجة أبيها فرجدها ميتة ، فخطر ببالها ان ريموند نفذ مخطط القتل ، ولم تدر ماذا تفعل ، ولذا آثرت السكوت . ولما عاد ريموند بعد ساعة وتظاهر بالحديث مع زوجته أبيه ، تأكدت أنه

مرتكب الجريمة ، ومن ثم دخلت خيمته ، وعثرت على الحقن ، وازدادت
تأكداً ، ولكنها أخذت الحقن وأخفتها ، وحاولت التخلص منه في
الصباح التالي .

وسمت بوارو لحظة ثم قال :
إن هناك دليلاً قوياً يجعلني أؤمن ببراءة كارول ، فعندما طلبت
منها ان تقسم على براءتها ، نادرت بالقسم المؤكد ، دون أن تتردد لحظة
واحدة ..

ووثب ريموند فجأة وقال في تحد .
— لا ادعي لكن هذا الحديث الطويل يامسيو بوارو . إنني أعترف
الآن انك على حق ، لقد كانت زوجة أبي ميتة فعلاً حين ذهبت اليها في
السادسة إلا عشر دقائق وقد صدمت عندئذ ، لأنني كنت أنوي
مصارحتها بأنني قررت الافتراق عنها والزواج من مس كنج .
ولكن عندما رجدت أنها ميتة خطرت لي فوراً ، كما قلت ، أن كارول
نفذت الخطة ، ولذلك التزمت الصمت ، لاسيما حين رأيت علامة وخز
الحقن على معصمها .

فقال بوارو :
ما هي الخطة التي وضعتها للتخلص من زوجة أبيك ؟ يجب مصارحتي
بها إذا أردت مني تصديقك .

فأسرع الشاب يقول :
— كانت وسيلة قرأت عنها في رواية بوليسية إنجليزية . وتتألف في
أن حقن أي إنسان في الوريد بالهواء ، أي بمحقن فارغ إلا من الهواء ،
يؤدي إلى وفاته . وقد افتركت أن هذه أحسن وسيلة علمية ، أنفذ
بها خطتي .

فأوماً بوارو برأسه وقال :

— آه فهمت . لذلك اشتريت محققاً لهذا الغرض ؟

— لا ، سرقت محقق نادين .

فرمقه بوارو بنظرة سريعة وقال :

— المحقق الذي كان في حقائب سفرها بالقدس ؟

— نعم .

فنظر بوارو اليهم كلهم وقال :

— الآن يمكن القول اننا كشفنا غموض ذلك المحقق الذي شوهدت

كارول ترمي به إلى الجدول . فقد أخذه ريموند من أمتعة نادين في القدس ، وأخذته كارول من خيمته حين ظنت انه نفذ خطته وعثرت عليه مس بيرس على ضفة الجدول بين الخلفات ، وأخذته منها مس ساره قائلة انه ملكها . وأظنه الآن مع مس ساره .

فردت ساره :

— نعم .

— معنى هذا انك كذبت علينا حين قلت انه ملكك !

— إنها كذبة مخجلة ولا علاقة لها بشرف المهنة

— آه ، إني أعرب لك عن إعجابي الشديد يا مس ساره .

— شكراً .

وصمت بوارو برهة ثم عاد يقول :

— والآن لنعد إلى الاحتمالات التي تدن كل واحد من أفراد الأسرة وإلى

الاحتمالات الأخرى التي تبرئه .

ثم أخذ يتلاعب بالجميع كما يفعل القط بجوعة صغيرة من الجردان المذعورة فهو يسوق الأدلة على اتهام لينوكس ، ثم نادين ، ثم جنيفرا ، ثم يعود ويفند هذه الأدلة كلها مؤكداً انه شديد الايمان ببراءتهم جميعاً ، وانه لم يقبل القيام بهذه المهمة إلا ليثبت للكولونيل كاربري براءة أفراد الأسرة من دم

إمرأة أبيهم
فراح الجميع يتبادلون النظرات ، بينما هتف الكولونيل كاربري قائلاً في
عجبهم وحيرة :
- هل في الأمر جريمة أم لا ؟
- طبعاً ، يا عزيزي .
- حسناً ، إذا لم يكن أحد هؤلاء هو المذنب ، فلا بد ان أكون أنا .
- ولا أنت يا عزيزي ، وإنما هو شخص آخر ، شخص آخر تأكدت منه
حين سمعت قول مسز بونتون للمس كنج في هو الفندق بالقدس :
« إني لا أنسى شيئاً أبداً ، تذكرني هذا . لا أنسى قط تصرفاً ولا اسماً
ولا وجهاً » .

قال بوارو وهو يتأمل الوجوه المرفوعة اليه في دهشة :

- ما هي الحقيقة إذن ؟ إنه سؤال لا بد من الإجابة عليه . لقد أخذ من حقيقة أدوية الدكتور جيار جزء من عقار الديجيتوكسين السام ، وأخذ منه أيضاً محقن ثم أعيد في الليل أو في الصباح الباكر . وهناك علامة وخزيرة المحقن على معصم يد المتوفاة . ومن المؤكد أننا سنعرف بعد التشريح ما إذا كانت مسز بونتون ماتت متأثرة بسم عقار الديجيتوكسين أم لا . لكن نتيجة التحليل والتشريح قد تأتي بعد فوات الأوان ولذا يجب معرفة الحقيقة اللمية ، بل الآن وقبل ان يفر القاتل من ايدينا .

فرفعت نادين رأسها وردت بمحبة :

- هل تعني انك لا زلت تظن ان ، ان احدا .

- اني اعتقد ان القاتل هنا ، في هذا الفندق . وسأذكر لكم اسمه بعد قليل بعد ان اقمعكم بادانته بناء على تحليلنا للنقط العشر او جزء منها على الأقل . ولناخذ النقطتين الأولتين : كانت مسز بونتون تتناول دواء من مستحضرات عقار الديجيتالا و « فقد الطبيب جيار محقنه » .

إن هاتين الحقيقتين تؤكدان ، ظاهرياً ، إدانة أحد افراد الأسرة . لكنهما مع التفكير المنطقي ، تؤكدان العكس ، إن سرقة كمية من العقار السام بارعة

في حد ذاتها .. لأن مسز بونتون كانت تتناول مستحضراً خفيفاً من هذا الدواء . فلو اني احد افراد الاسرة ، فماذا أعمل ؟ إن أبسط شيء وأبعد شيء عن الشبهات هو وضع الدواء المركز في زجاجة دوائها ، وحين تتناول الكمية المعتادة ، تموت فوراً بالسكتة القلبية .

وبهذا أحقق هدفي دون ان يفطن احد . وحق إذا فطن احد بأن الزجاجة بها عقار مركز ، فسيسهل على الجاني الزعم بأن الخطأ يرجع إلى الصيدلي الذي أعد الدواء أي انه ليس هناك ما يدعو إلى سرقة محقق أو المغامرة بمحقن المجني عليها في مكان مكشوف ، إذن فلماذا سرق المحقق من خيمة الطبيب جيران ؟

هناك تفسيران لهذا السؤال : إما ان يكون الطبيب لم يبحث جيداً عن المحقق بسبب حالة الحمى التي كان يشكو منها ، أي ان المحقق كان موجوداً في الخيمة طيلة الوقت ولم يسرق أو ان القاتل سرق المحقق لأنه لم يستطع ان يصل الى زجاجة الدواء ليضع فيها الدواء السام ، وذلك لأنه لم يكن واحداً من افراد الاسرة ، وهذا يدل ان القاتل شخص خارج نطاق الاسرة ، أي شخص ليس له حق دخول كهف المسز بونتون ، دون ان يلتفت اليه الأنظار .

وصمت بوارو قليلاً قبل ان يستطرد قائلاً :

- فمن يكون هذا الشخص الدخيل ؟ انه ليس المستر كوكب لأن جميع الأدلة تثبت ان لا مصلحة له في قتل المعجوز ، وليست مس ساره ايضاً لأنه لا يعقل إطلاقاً ان تلجأ آنسة مثقفة وطبيبة الى ارتكاب جريمة قتل لكي تفسح الطريق امامها للزواج من ريموند ، وليس الدكتور جيران بطبيعة الحال لأنه كان محمواً وحق إن لم يكن محمواً فما هي مصلحته الهامة في قتلها ! هذا إلا إذا كان لدى كل منهم حوافز قوية لارتكاب الجريمة ، لا ندرى عنها شيئاً .

فابتسم جيرار وقال :

- مثل ماذا ؟

- انت مثلاً . ربما قررت ان تتولى علاج جنيفرا وإنقاذها من المصير
الرهيب الذي كانت تنحدر اليه بسرعة . ولكنك رأيت ان العلاج لن يجدي
الا اذا ازلت من الوجود السبب في المرض اي انك مثلاً ، قررت التضحية
بأم عجوز شريرة لإنقاذ ابنة شابة جميلة طاهرة كالملاك .

فابتسم جيرار وقال

- يا الحبيب الواسع العجيب يا مسيو بوارو .

فأكمل بوارو كلامه دون ان يحفل به :

- لكن اذا كان الطبيب هو القاتل ، فلماذا لفت الأنظار الى احتمال
وقوع جريمة حين قرر ان الحقن سرق منه ، وكذلك كمية من العقار ؟ انت
هذا الموقف يا اصدقائي لا يتفق مع ابسط قواعد المنطق .

فقال الكولونيل كاربري :

- وماذا بعد يا مسيو بوارو ! اليس لهذا الحديث من نهاية ؟

فأوما بوارو قائلاً .

- لقد اوشكت على الوصول الى النهاية . ولناخذ الآن النقطتين الثالثة
والرابعة « المسز بونتون تستمد سمادتها من حرمان افراد اسرتها من الاتصال
بالغير » ، و « المسز بونتون » في عصر ذلك اليوم المشار اليه ، شجعت افراد
اسرتها على الخروج للنزهة بدونها »

ان هاتين الحقيقتين تتعارضان ، كل التعارض . فلماذا قررت العجوز
في عصر ذلك اليوم ان تغير سياستها مع افراد الاسرة فجأة الا بد ان هناك
سبباً ، فما هو ؟

ونظر بوارو الى الجميع متسائلاً ، فلما رآهم يحملون في وجوه صامتة

استطرد يقول :

— لم نتمتع نفسية مسز بوتون كما وصفها بحق الطبيب جيران . لقد
سُئلت السيطرة على افراد الأسرة بين جدران قصرها في امريكا ، وقررت
ان تغزو آفاقاً جديدة لإشباع حب السيطرة في نفسها ، فقامت بهذه
الرحلة الى الخارج وهي مؤمنة بأن هذه الرحلة سوف تزيد من نطاق سيطرتها
عليهم ، وتتيح لنفسها من فرص ممارسة طغيانها والتحكم في تصرفاتهم .
ولكن النتيجة كانت عكسية تماماً . لأنها ما كادت تخرج الى العالم الواسع
حتى لمست نباهتها وضآلة شأنها واحتمال عجزها عن القبض على زمام الأمور
بين افراد اسرتها . وهذا يؤدي بنا الى النقطة العاشرة .

فحين ذهبت ساره اليها في هوو الفندق واخبرتها برأيها فيها بكل صراحة
تحدثت مسز بوتون بعبارة غامضة ، دون ان تنظر الى ساره ، وانما كانت
تنظر الى شخص آخر قريب من المكان ، قالت بالحرف الواحد :
« انني لا انسى ابداً شيئاً . تذكرني هذا ، لا انسى تصرفاً ولا اسماً
ولا وجهاً » .

وصمت بوارو برهة ثم قال للجميع :

— هل يمكن لأحدكم ان يفهم دلالة هذه العبارة ، انها طبعاً لم تكن
رداً على حديث ساره ، بل انها لم تكن تنظر اليها وهي تقول تلك
العبارات . وهذا يعني انها كانت موجهة الى شخص آخر ، وراء
مس كنج .

ومرة أخرى أمسك بوارو عن الحديث قبل ان يستطرد قائلاً .

— لقد وقعت أنظار مسز بوتون على ذلك الشخص في أقصى لحظات
حياتها ، في اللحظة التي افترق فيها لسانها من فرط الغضب حين بينت لها
مس ساره مدى تفاهتها وضآلة شأنها .

في تلك اللحظة رأت شخصاً آخر يمكن ان يكون ضحية جديدة تمارس
فيه نزعتها الشديدة إلى السيطرة والطغيان . وهذا ما يفسر موقفها الغامض

من أفراد الأسرة في عصر ذلك اليوم ، أعني حين طلبت منهم ان يذهبوا جميعاً للتره بدونها ..

أتمرفون لماذا ؟ لكي تتاح لها الفرصة للانفراد بالضعيفة الجديدة التي وقعت بين يديها . للانفراد بها والتمتع بتعذيبها . ومن هذه النقطة الجديدة يجب أن تتناول أحداث عصر ذلك اليوم . فقد ذهب أفراد الأسرة للتره ، وبقيت هي جالسة أمام كهفها

والآن لنتناول أقوال السيدتين : الليدي وستول ومس بيرس . وإن كانت أقوال مس بيرس لا قيمة لها لأن شخصيتها ضعيفة ومن السهل الإيحاء لها بما يراود منها ان تقول . أما الليدي وستول فهي واضحة في أقوالها وقوية الملاحظة جداً . والسيدتان متفقتان في أنها رأتا أحد العمان العرب يقترب من المعجوز ويشير غضبها بطريقة ما ، ثم يتراجع مسرعاً حين ثارت عليه ولوحت بمصاها وراءه

وقد قالت الليدي وستول ان العامل دخل أولاً خيمة جنيفرا ، لكنكم تذكرون ان خيمة الطبيب كانت تجاور مباشرة خيمة جنيفرا ومن المحتمل إذن ان يكون العامل العربي دخل خيمة الطبيب ..

فقاطعه الكولونيل كاربري عندئذ بقوله :

- هل تريد ان تقول لنا ان أحد العمال العرب هو الذي ارتكب هذه الجريمة ! يا للعجب !

فابتسم بوارو وقال :

- مهلاً يا صديقي ، إني لم أفرغ بعد من حديثي . لننتق ان العامل العربي خرج من خيمة الطبيب . فماذا بعد ؟ إن السيدتين تتفقان في وصفه ، كان مرتدياً عقالاً كالعرب ، وسترة وبنطلوناً من بنطلونات الركوب هذا هو وصف مس بيرس له . أما الليدي وستول فقد تبادت في وصفه قائلة انه كان مرتدياً بنطلوناً ممزقاً وحزام ساق غير محكم على ساقه ، ولكنها لم تستطعها

أن تتبيننا وجهه أو تسمعا الحديث الذي دار بينه وبين المعجوز لأن المسافة بينهما وبينه كانت نحو مائتي ياردة .

وصمت بوارو لحظة قبل ان يردف قائلا :

— فإذا كان من المسير على اللبدي وستولم ان تتبين وجهه ، فكيف أمكنها ان تلاحظ بدقة عدم إحكام الحزام (القلشين) على ساقيه ؟ اليس هذا عجيباً ومثيراً للسؤال ؟ لأنها ما دامت لم تستطع ان ترى وجهه بوضوح ولا ان تسمع صوته بسبب طول المسافة ، فلماذا على هذا لا تستطع ان ترى الحالة التي كان عليها القلشين من بعد مائتي ياردة .

لقد كانت غلطة كما ترون . وقد أثارت هذه الملاحظة تفكيري . لماذا أصرت اللبدي وستولم على وصف قلشين ذلك العامل بهذه الدقة ؟ أترامها عملت هذا لأن العامل لم يكن مرتدياً قاشيناً على الإطلاق ؟

لقد رأته كل من اللبدي وستولم ومس بيرس ولكن كلا منهما كانت جالسة أمام خيمتها ، وبالنظر إلى هذه الخارطة نرى ان سور حديقة الاستراحة يمنع كلا منهما من رؤية الأخرى وهما جالستان أمام خيمتهما . وقد أكدت اللبدي وستولم هذه الحقيقة بقولها انها ذهبت لرى مس بيرس فلقيتها جالسة أمام خيمتها تقرأ ..

أي انها لو كانت تراها من أمام خيمتها ، خيمة اللبدي وستولم ، لما كان هناك سبب لذهابها كي تراها ..

فانتصب الكولونيل كاربري في جلسته وقال :

.. يا إلهي ! أريد ان تقول ان اللبدي ..

فقاطعه بوارو قائلا :

— أريد ان اقول ان اللبدي وستولم ، حين تأكدت ان مس بيرس جالسة مستفرقة في القراءة ، وكانت هي الوحيدة المستيقظة أو الموجودة في المعسكر في تلك الساعة ، عادت إلى خيمتها وارتدت سراويل الركوب ،

وسترة خاكية اللون ، وصنعت لرأسها عقالا ، وما أبسط هذا بطبيعة الحال ، راندفعت إلى خيمة الطبيب ، وأخذت الحقن رفحصت حقيبة الادوية واختارت العقار المناسب لتحقيق هدفها ، وملأت الحقن منه وضمت بكل جراءة إلى خيمتها .

واستطرد بوارو قائلا بعد ان صمت فترة .

— ومن المحتمل ان المعجوز كانت غافية في ذلك الحين . ولكن المؤكد ان الليدي وستولم كانت سريعة وحاسمة ، إذ أمسكت بمعصمها ، وحقنتها بالعقار السام . وصاحت المسز بونتون وحاولت النهوض لكنها تهالكت في مكانها .

وأسرع « العامل العربي » كما بدا المس بيرس عندئذ ، بالهرب ، والمسز بونتون تلوح وراءه بعصاها في غضب .

وبعد خمس دقائق تكون الليدي وستولم قد تخلصت من ثياب التنكر وعادت إلى مس بيرس لتتلقى على ذلك المنظر وهي واثقة ان تعليقاتها سوف يترك أثره في نفسية مس بيرس الضعيفة التي تتأثر بسرعة من إيجاعات الغير ، وبعد ذلك ذهبنا للنزهة وقد تعمدت الليدي وستولم ان تقف تحت الجرف الذي تجلس فوقه المعجوز لتهتف لها بعبارة ، ولم تتلق أي رد بطبيعة الحال ولكنها تظاهرت بأن المعجوز ردت بغمغمة تم عن قلة الذوق ، وعلفت على هذا أمام مس بيرس المستعدة على ان تقسم بأنها سمعت غمغمة من مسز بونتون .

هكذا يبلغ ضعف نفسية مس بيرس لقد جربت بنفسها هذا معها حين أوحيت اليها اني عطست أمامها ، وأكدت لي ، انها سمعتني أعطس فعلا !!

المهم ان الليدي وستولم ، بحكم عملها السياسي ، كانت تعرف حقيقة نفسية مس بيرس ومدى استعدادها لتقبل أي شيء يوحى اليها به . ولكن

المشكلة التي واجهت الليدي وستول بعد ذلك هي التخلص من الحقن . فقد عاد الطبيب جدار إلى خيمته بأسرع مما كانت تظن بسبب إصابته المفاجئة بالحمى ، وقد خامرها الأمل في انه لن يلحظ ضياع الحقن حتى تتمكن من إعادته إلى خيمته أثناء الليل او في الصباح الباكر .

وتوقف بوارو عن الكلام ..

فسألته ساره :

- لكن لماذا ؟ لماذا أرادت الليدي وستول قتل مسز بونتون ؟

- الم تقولي ان الليدي وستول كانت جالسة بالقرب منك حين ذهبت وتكلمت إلى المعجوز في هو الفندق بالقدس ؟ إن عبارتها الغامضة لم تكن موجهة اليك ، وإنما إلى الليدي وستول :

« إني لا أنسى شيئاً أبداً .. تذكرني هذا . لا أنسى قط تصرفاً ولا اسماً ولا وجهاً .. »

فإذا علمنا ان المعجوز كانت سحابة قبل زواجها ، فيمكنكم ان تستنتجوا الحقيقة فقد تعرف اللورد وستول بزوجته هذه أثناء عودته بالباخرة من رحلته إلى أمريكا ، وكانت الليدي قبل زواجها مجرمة في أمريكا أمضت بضع سنوات من عمرها في أحد السجون .

وصمت بوارو لحظة قبل ان يستأنف كلامه قائلاً :

- ويمكنكم ان تصوروا الفزع الرهيب الذي ملأ قلب الليدي وستول حين وجدت نفسها فجأة أمام سجانتها السابقة !

إن كل آمالها وكل شيء عظيم في حياتها أصبح مهدداً في يوم وليلة ، ونحن نجهل الآن السبب الذي من أجله سجنتم في أمريكا ، وإن كنا سنعرف هذا بعد يوم او يومين .

ولكن ، أيا كان السبب ، فلا بد انه كقيل بنسف كل ما بنته من مجد سياسي ومكانة إجتماعية رفيعة ، إذا شاع أمره بين الناس .

وتذكروا هذا ، إن مسز بونتون لم تكن من النوع الذي يهدد من أجل ابتزاز المال . فهي لم تكن بحاجة للمال . ولو كانت كذلك ، لاستطاعت الليدي شراء سكوتها .
لكن المعجوز كانت من النوع الذي يستمد سعادته من تعذيب ضعفاءه وتعريضهم لأقصى أنواع البؤس والشقاء .
ومن ثم أيقنت الليدي انها لن تكون في أمان قط طالما ظلت المعجوز على قيد الحياة ..

وهكذا أطاعت أمر المعجوز حين طلبت منها ان تلتقي بها في مدينة بترا . وقد عجبت قبل ان أعرف هذه الحقائق كيف تسافر سيدة ذات مكانة إجتماعية كبيرة مثل الليدي وستولم يمثل هذه البساطة ، ولكنها كانت في ذات الوقت تفكر في طريقة للخلاص من المعجوز .. ولما سنحت الفرصة نفذت الجريمة بكل جرأة .

ولكنها ارتكبت خطأين :

الأول : وصفها الدقيق لفلشين العامل العربي الذي أثار شكوكي ، والخطأ الثاني : عندما أخطأت ودخلت خيمة جنيفرا في اول الأمر ، وهي تحسبها خيمة الطبيب جيرار ..

وهذا ما يفسر حديث جنيفرا عن « الشيخ العربي » الذي دخل خيمتها واراد ان يختطفها كما قومت ..

وبعد فترة دامت اخيرة قال بوارو مستطرداً :

- ولكننا سنعرف الحقيقة بالدليل المادي قريباً جداً .. فقد حصلت على بصمات الليدي وستولم دون علمها ، وأرسلتها إلى إدارة السجن الذي عملت فيه المعجوز سجاناً ، وسوف نعرف الحقيقة قريباً ، عند مضاهاة بصمات الليدي وستولم ، على البصمات الموجودة في سجلات إدارة السجن

وما كاد بوارو يفرغ من عبارته الاخيرة حق سمع الجميع دويًا حادًا في
الغرفة المجاورة مباشرة .

فنهتف الدكتور جيار قائلا :

— ما هذا ؟

فقال الكولونيل كاربري وهو ينهض مسرعًا :

— إنه دوي طلق ناري . . من المقيم في الغرفة المجاورة ؟

فقال بوارو وهو يبتسم بخبث :

— الليبدي وستولم .

الخاتمة

وصدرت صحف اليوم التالي في القدس ولندن تحمل هذا النبأ :
« يؤسفنا أن نذيع نبأ وفاة الليدي وستولم عضو البرلمان الانجليزي ،
أمر حادث الم .
« فقد وجدت الليدي وستولم في غرفتها ، في فندق الملك سليمان بالقدس ،
مصابة بطلق قاري والمسدس في يدها .. وقد اتضح ان المسدس انطلق أثناء
تنظيفها إياه .
« وقد كانت الوفاة فورية .. ونحن نتقدم بالعزاء ، إلى ..
الخ ، الخ .. » .

• • •

وفي مساء يوم دافىء من شهر يونيو ، بعد هذه الأحداث ، بخمس
سنوات .

كانت ساره وزوجها ريموند جالسين في مقصورة خاصة بمسرح لندن

يشاهدان مسرحية هاملت .
وأمسكت ساره بذراع ريموند ، في تأثر شديد ، حين صعدت
إلى خشبة المسرح ، الممثلة الذائعة الصيت جنيفرا بونترن ، لتقوم
بدور أوفيليا .

ومست ساره لزوجها :
- ما أروعها . ما أعظم عبقريتها لقد صدق الدكتور جيران حين
قال ان جنيفرا ستكون من أعظم ممثلات عصرها .

وفي ساعة متأخرة على تلك الليلة ، بعد انتهاء التمثيل ، كانت جنيفرا
جالسة في مطعم سافوي .
فقال لرجل ملتح بجانبها ، وهو مخرج المسرحية ، وهي تضع على شفيتها
تلك البسمة الخالدة :

- هل أدبت دوري الليلة كما ينبغي يا تيودور ؟

- كنت رائعة يا عزيزتي .

وعلى مائدة قريبة ، كان ممثل دور هاملت ، يقول باكتساب
لصديقه :

- إنها رائعة طبعاً .. وإن طريقتها في تمثيل دور أوفيليا تعتبر شيئاً
جديداً في عالم المسرح ..
ولكنها ضيعة بجانبها ..

وقالت نادين الجالسة أمام جنيفرا على نفس المائدة :

- ما أروع وجودي هنا ، في لندن ، وجلوسي مع جنيفرا ، الممثلة
الذائعة الصيت !

والنفت نادين إلى زوجها لينوكس وقالت :

- هل يمكن أن ندع طفلينا يشاهدان المسرحية ، في الحفلة
المسائية ؟

إنها في السن التي يمكن أن يتعرفا فيها على عمتها ، وهي على خشبة المسرح !

فرفع لينوكس كأسه وقال بصوت كله السعادة والمرح :
- إلى الزوجين الجديدين .. مستر كوب وكارول .
وضحكت كارول ..

ثم قالت لزوجها جيفرسون كوب :
- جيف .. يحسن أن تشرب ، نخب غرامك الأول ، أيتها
الفادر ؟

فقال ريموند ضاحكاً :
- إن صاحبنا جيف يشعر بالحنين .. ألا ترون احمرار وجهه ؟ يبدو أنه
لا يحب أن يذكره أحد بما مضى ..

وفجأة ، إكتأب وجهه ، وبدأ عليه كأنه يرى حلماً قديماً مزعجاً ،
حين شاهد مسيو بوارو ، يتقدم نحو جنيفرا ، وينحني على يدها
مقبلاً ويقول :

- تحيائي إلى أعظم فنانة في هذه البلاد .
وحياه الجميع بحرارة وأفسحوا له مكاناً بينهم .
وتلفت بوارو حوله ..
ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة ، وانحنى على ساره ؛ وقال
لهامساً :

- يبدو ان كل شيء على ما يرام مع أفراد أسرة بوتتون .
فأجابته :
- الفضل لله ولك يا مسيو بوارو ..
- لقد أصبح زوجك رجلاً مشهوراً .. قرأت ما كتبه المعلقون والنقاد
عن كتابه الأخير .

قالت :

- إنه عبقرى بلا شك .. هل تعلم أن كارول وكوب استطاعا ان يكونا أسعد زوجين ، رغم ما كان من حب كوب لنادين أولاً .. ولعلك لم تعلم ان نادين أطلقت لنفسها حرية الحمل ، وأصبح لها الآن طفلان جميلان جداً .. أما جنيفرا .. فهي هي كما تراها .. عبقرية وشهرة ونجاح .



General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

